وقفات وإيضاحات مع

كشف الشبهات

تأليف : غيث بن عبدالله الغالبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

أما بعد : قال الإمام ابن رجب الحنبلي ـ رحمه الله تعالى ـ عند شرح قول

النبي صلى الله عليه وسلم ((وإذا خاصم فجر)) ويعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمداً حتى يصير الحق باطلاً ،والباطل حقاً ، وهذا مما يدعو إليه الكذب كما قال – صلى الله عليه وسلم – : ((إياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار)) .

وفي " الصحيحين " عن النبي – صلى الله عليه وسلم – : ((إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)) .وقد قال – صلى الله عليه وسلم – : ((إنكم لتختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنما أقضي على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه ، فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار)) .وقال – صلى الله عليه وسلم – : ((إن من البيان لسحرا)) .فإذا كان الرجل ذا قدرة عند الخصومة – سواء كانت خصومته في الدين أو في الدنيا – على أن ينتصر للباطل ، ويخّيل للسامع أنه حق ، ويوهن الحق ، ويخرجه في صورة الباطل ، كان ذلك من أقبح المحرمات ، ومن أخبث خصال النفاق . وفي" سنن أبي داود " عن ابن عمر ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : ((من خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع)) .وفي رواية له أيضا : ((ومن أعان على خصومة بظلم ، فقد باء بغضب من الله)) .أنتهى

وقد أكثر بعض الناس من الإيغال في الغلو حتى تناحرت الأمة ،وكفّر بعضهم بعضاً مع أن الأمة الإسلامية بأمس الحاجة إلى التعاضد والتكاتف في هذا الزمن العصيب الذي تتكالب فيه عليها الأمم من كل حدب وصوب . ولما كان التعاضد والتناصر لا يكون إلا على الحق كان لابد من بيانه ومناصرته.

ولما كان الحق ثابت في التمسك بالعقيدة الصحيحة ،والشريعة المطهرة ،كان معنى التمسك بها هو التمسك بالحق وهو معنى النصرة والتعاضد .وحيث أن

مسائل العلم على قسمين :مسائل إجماع لا مجال للخلاف فيها ،ومسائل خلاف اجتهادي لا مناص من العذر فيها، كان التمسك بهذا المبدأ هو منهج علماء الأمة من أعوام مديدة .غير أن التعاون بين أهل العلم في هذا الزمن عسر على بعضهم للخلط بين مفهوم مسائل الاجتهاد والخلاف.بل والخلط بين مسائل الفقه،والعقيدة .وبين مسائل تقبل الخلاف ومسائل لا مجال فيها للخلاف .ومرد ذلك إلى نصوص الوحي من حيث ثبوتها أولاً ،ومن حيث دلالتها ثانياً .فإن الدلائل الظنية لا يمكن أن تصبح قطعية وإن ادعى ذلك دعي .فتبقى الظنيات ظنيات ،وتظل القطعيات قطعيات لو أنصفنا وتجنبنا المغالطات .ولما كان هذا التعاون لا يمكن أن يكون وسط شبهات التفريق وتحت معاول التمزيق ، كان من الواجب الحتمي بيان زيف الباطل وإظهار الحق ولو كره أعداء الحق . فلا يشك عاقل أن كل مسلم غيور يهمه أمر اجتماع هذه الأمة وخصوصاً أهل الحق والسنة .بيد أن هناك شبهات تدفع هذا التعاون والاتفاق ،ولا يمكن التعاون بين أهل الحق في ضل وجود تلك المخاوف والتوهمات .ألا وإن تكفير جمهور المسلمين في سائر بقاع الأرض من أعظم أسباب الفرقة بين المسلمين وخصوصاً إذا كان بظلم وافتراء .

ولما كان كتاب كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبدالوهاب من أعظم مصادر التكفير التي يصدر عنها كثير من أصحاب التكفير، كان بيان ما اشتمل عليه من أخطاء في التأصيل ،والمنطلقات من الواجبات المحتمات ،وفق ميزان العدل ،والعلم .فلا ظلم ولا إنكار بجهل .ألا وإني استشعر في ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((الظلم ظلمات يوم القيامة))وقوله فيما يرويه عن ربنا عزوجل ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا))فأسأل الله عزوجل أن يحفظني من أن أضل أو

أضل أو أزل أو أزل ،أو أظلم أو أظلم ،أو أجهل أو يجهل علي. مع العلم أني لا أظن في الشيخ غفر الله لنا وله إلا الظن الحسن ،فلعله أراد بيان ما يظنه حقاً فلم يصب الحق .وسأبرهن على أنه جانب الصواب في ثنايا هذا النقاش والتفنيد لكل ما أورده مع الشرح والعزو لأهل العلم بقدر المستطاع .وبربي أستعين وعليه أتوكل ،ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

الأثر الفكري لدعوة الشيخ

1. في دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب يُعتبر أن من استغاث بالأنبياء، أو العلماء ،أو الأولياء من جملة المشركين .وحيث كانوا كذلك فلا فرق بين مشركي الجاهلية في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وبين المسلمين من سائر أقطار الأرض إذا كانوا يستغيثون بالأنبياء أو غيرهم من الخلق.وعليه فهذا الصنف من الناس وهم أكثر المسلمين اليوم في مصر ،وبلاد الشام ،والعراق ،والأفغان، والباكستان وغيرها واقعون في الشرك الأكبر المخرج من الملة وهو شرك لا يسع المسلم الجهل به. ولو كان ذلك شركاً لكان موقفهم صحيحاً ،ولكن سيأتي ما يزيل هذه الشبهة بإذن الله تعالى . قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - مفتى الديارالسعودية -: "إسلام الأَكثر إسلام اسمي، فإن أَكثر المنتسبين إليه في هذا الوقت يقال لهم المسلمون اسماً ضد اليهود والنصارى. ومن وجد منه ما ينقضه فإنه إسلام الاسم ولا كرامة ، أَفيظن أَن من رضوا بالأَوثان وعبدوها وحاموا دونها وجبوا بها الجبايات وحكموا القوانين، أَفبعد هذا إسلام؟! هل هذا إلا الكفر الذي بعث صلى الله عليه وسلم بهدمه؟! وأَصغركم يعرف أَن كل من دخل في الإسلام لايبقى عليه بكل حال، بل إذا نقضه خرج . وباب حكم المرتد معروف ومبين من هو بإجماع بين

أَهل العلم أَن الردة ردتان ، لكن وقع ما أَخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ((يأْتي قوم يستحلون الخمر يسمونها بغير اسمها)) وقد وقع استحلوا الشرك وسموه بغير اسمه ، فقالوا:توسل واستشفاع. لكن هو توسل المشركين واستشفاعهم.[1] أنتهى

2. وقد يقول قائل فهذا شيء حصل في غابر التاريخ ،ولم يعد أحد من الناس اليوم يُكفّر المسلمين لا بالوصف ولا بالعين ؟فأقول: أتمنى أن المعترض مصيب **ولكن يبطل ذلك دلالات كثيرة منها:**

الدلالة الأولى:طباعة الكتب التي تكّفر جمهور المسلمين وشرحها ونشرها وتوزيعها .

الدلالة الثانية:ماتجده من جيل جديد من الذين لا هم لهم إلا تكفيرالمسلمين. وشاع بين طلابهم التقليد لبعضهم في هذه المسألة دون بحث ولا وقفة للتأمل والمراجعة ،فضلاً عن إنكاره أو الاعتراض على ذلك إلا نزراً يسيراً .

الدلالة الثالثة:تصريح بعض مشايخهم الكبار بذلك في دروسهم وفتاويهم،فمن ذلك :قال الشيخ صالح الفوزان في شرحه لكشف الشبهات ما نصه: فالذين يدّعون الإسلام الآن ،ويصلون ،ويصومون ،ويحجون ،ولكنهم يدعون الحسين والبدوي وعبد القادر الجيلاني هؤلاء مثل المشركين الأولين؛ فالمشركون يتعبدون لله عز وجل ولكنهم يدعون اللات ،والعزى ،ومناة الثالثة الأخرى ولا يقولون إن هذه أرباب بل يقولون هذه تقربنا إلى الله زلفى نريد منها الزلفى عند الله والتقرب إلى الله، فهي وسائط وشفعاء بيننا وبين الله. وهؤلاء يقولون الحسن والحسين وعبد القادر والبدوي إنما هم شفعاء لنا عند الله ولا يقولون

[1] مجموع فتاوي الشيخ محمد بن إبراهيم ج1العقيدة من القسم الثاني وحدانية الإلهية عنوان الإسلام والمسلمون.

إنهم يخلقون ويرزقون ويتصرفون في شيء من الأمور وإنما هذا لله عز وجل، إنما هؤلاء وسائط وشفعاء. ويقول بعض الناس هؤلاء مسلمون فنقول ولماذا لا يكون كفار قريش مسلمين أيضا؟!.[٢] وهذا القائل ليس عنده فهم للتوحيد ولا بصيرة لأنه ما فهم التوحيد. والواجب على الإنسان أن يعرف هذا الأمر لأنه مهم جداً وهذه هي الثقافة الصحيحة. ليست الثقافة أن تعرف أحوال العالم والحكومات والسياسات، هذه ثقافة لا تنفع ولا تضر. أنتهى كلامه من شرحه لكشف الشبهات .

وهذا سؤال وجه إلى الشيخ ابن باز في برنامج نور على الدرب

يقول السؤال: إذا حضرت بقرية وكان إمامها أحد الصوفية ولا يقبض يديه في الصلاة ولا يدلي بركبتيه قبل يديه إلى السجود فهل تجوز صلاتي خلفه أم لا ؟ الجواب : إذا كان موحداً معروفاً بالتوحيد ليس مشركاً وإنما عنده شيء من الجهل والتصوف ولكنه موحد مسلم يعبد الله وحده ولا يعبد المشايخ ويدعوهم من دون الله كالشيخ عبد القادر أو غيره بل يعبد الله وحده فلا بأس بالصلاة خلفه ومجرد كونه لا يضم يديه لا يمنع من الصلاة خلفه لأن ضم اليدين أمر مسنون وليس واجباً . من برنامج (نور على الدرب) ، شريط رقم (**11**) – مجموع فتاوى و مقالات متنوعة الجزء الحادي عشر

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله : (أما العصاة فلا ينبغي أن يتخذوا أئمة لكن متى وجدوا أئمة صحت الصلاة خلفهم لأنهم قد يبتلى بهم الناس وقد تدعو الحاجة للصلاة خلفهم ،أما من يدعو غير الله أو يستنجد بالموتى ويستغيث بهم ويطلبهم المدد فهذا لا يُصلي خلفه، لأنه يكون بهذا الأمر من جملة

---

[٢] سيأتي الرد على هذه النقاط بإذن الله .

الكفار لأن هذا هو عمل المشركين الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم في مكة وغيرها.

وهذا سؤال موجه للجنة الدائمة للإفتاء السؤال الثاني والخامس من الفتوى رقم (9027):

س 2: يقول الناس عند النوازل والشدائد: يا رسول الله، وغيره من الأولياء، ويذهبون إلى مقابر الصالحين في حالة المرض ويستغيثون بهم، ويقولون: إن الله يدفع البلاء بهم، نحن نستمدهم لكن نيتنا إلى الله؛ لأن المؤثر هو الله، هل هذا شرك أم لا، وهل يقال لهم: إنهم مشركون؟ والحال أنهم يصلون ويقرأون القرآن وغيره من العمل الصالح.أنتهى السؤال.

ج 2: ما يفعله هؤلاء هو الشرك الذي كان عليه أهل الجاهلية الأولى، فإنهم كانوا يدعون اللات والعزى ومناة وغيرهم ويستغيثون بهم؛ تعظيما لهم، ورجاء أن يقربوهم إلى الله، ويقولون: {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} ويقولون أيضا: {هؤلاء شفعاؤنا عند الله} .....أنتهى

ويقول الشيخ صالح الفوزان :يشترط في الإمام أن يكون مسلمًا عدلاً في دينه وأخلاقه واستقامته، وأن يكون مثالاً طيبًا في التمسك بالسنة والابتعاد عن البدعة وترك الشرك ووسائله؛ فالذي يتخذالتوسل بالصالحين أو الأولياء أو الأموات على ما اعتاده عباد القبور اليوم، ويستعمل هذا، أو يدعي أن هذا أمر جائز؛ فهذا لا تصح الصلاة خلفه؛ لأنه مختل العقيدة، وإذا كان يتوسل بالصالحين؛ بمعنى أنه يطلب منهم الحوائج وتفريج الكربات وينادي بأسمائهم ويستغيث بهم؛ فهذا مشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة؛ فليس بمسلم،

فضلاً عن أن يتخذ إمامًا لمسجد. أنتهى

مصدر الفتوى: المنتقى من فتاوى الشيخ صالح بن فوزان الفوزان – (ج 1/ ص 90)

إذن لا مجال لإنكار هذا الواقع المرير.

3. ومن أعظم آثار هذا التكفير تجرئة المتهورين على تكفير المسلمين حكومات وشعوباً ،علماء وعامة كما هو مشاهد لا يخفى على أحد.

4. انتشار هذا التكفير في كثير من بلاد الإسلام في الجزائر ،ومصر،والمغرب والعراق ،فضلاً عن السعودية وغيرها.حتى اصطلوا هم أنفسهم بشر هذا التهور في التكفير إما تحت مبدأ الولاء والبراء ،أو تحت مبدأ تحقيق التوحيد . مع أننا نؤمن بأن الولاء والبراء من أسس الاعتقاد ،وبأن التوحيد أساس للدين ،وإنما الكلام في الفهم الصحيح للفرق بين الموالاة الكفرية التي تكون عن محبة للكفر وأهله ،وبين موالاة دون ذلك تكون من جملة المعاصي على تفصيل بين ما كونه كبيرة عظيمة ،ونزولاً إلى ماهو محرم أو مكروه على الخلاف المشهور في التشبه بالكفار في اللباس ونحوه .كما أن المشكلة أيضاً في فهم الشرك الأكبر والفرق بين قانون السببية ،وقانون الإيجاد والتصرف المستقل . وبين العمل العبادي والعمل العادي الذي ليس للتعبد.ولأجل كل هذا الخلط لديهم ظهر التذمر من آثار ذلك الغرس الذي جنى المسلمون أثره بلا ريب ،و لن تجني من الشوك العنب .

ومن نماذج التذمر من هذا التشدد والتكفير نقف للتأمل في ثلاثة مواقف :

الموقف الأول:موقف علماءالسعوديةمن فتنة التكفير المنطلقة من الفهم الخاطىء لعقيدة الولاء والبراء الذي استقوه من كتبهم ومشايخهم ، حيث أجمل المشايخ بداية وتوسعوا في التكفير تحت مبدأ الولاء والبراء ،ثم تراهم لما اصطلوا بهذه النار فروا إلى التبرأ من هذا الفكر الهمجي .ولا أقول إلا (يداك أوكتا وفوك نفخ). ومن أكبر الرسائل التي تتكلم عن موضوع الولاء والبراء ،وتدرس في المساجد وغيرها :رسالة الدلائل في موالاة أهل الإشراك للشيخ سليمان حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ،وكذلك الإهتمام بكتاب الدرر السنية في الفتاوى النجدية ،ونحوها من الكتب التي تدور على هذا الأصل الأصيل ،ولكن بتقرير خاطىء وفهم مجانب للصواب .مع العلم أن رسالة الشيخ سليمان كتبها وكفّر فيها رجال الدولة العثمانية ومن لم يحاربهم من أهل نجد فضلاً عن مناصرهم. وفي رسالة للشيخ عبد الله العنقري بعثها إلى بعض المشايخ ما يؤكد ذلك حيث قال: نبين لكم سبب تصنيف الدلائل. فإن الشيخ سليمان صنفها لما هجمت العساكر التركية على نجد في وقته وأرادوا اجتثاث الدين من أصله !وساعدهم جماعة من أهل نجد من البادية والحاضرة، وأحبوا ظهورهم . "الدرر السنية" (309/5)..

يقول الشيخ سليمان:في أثناء حديثه على الدليل السادس عشر { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ }: فهذه الآية مطابقة لحال المنقلبين عن دينهم في هذه الفتنة سواء بسواء ... لما أصابتهم هذه الفتنة انقلبوا عن دينهم وأظهروا موافقة المشركين .!أنتهى

ويقول أيضاً: فأنت يا من منَّ الله عليه بالثبات على الإسلام: احذر أن يدخل قلبك شيء من الريب، أو تحسين أمر هؤلاء المرتدين،[٣] و أن موافقتهم للمشركين [٤]و إظهار طاعتهم رأي حسن؛ حذراً على الأنفس و الأموال و المحارم. فإن هذه الشبهة: هي التي أوقعت كثيراً من الأولين و الآخرين في الشرك بالله، ولم يعذرهم الله بذلك.

وممن شرح هذه الرسالة وقرر ما فيها الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان، اعتنى به وأشرف على إخراجه: محمد بن فهد الحصين، عام 1428هـ، في (231) صفحة.

وكثير من هذه الإطلاقات سبب فتنة التكفير والتفجير حتى تفاقم شرها وانتشر ضررها.

الموقف الثاني :موقفهم في السودان : فلا ننسى ما حدث في رمضان عام 2000م حيث قام أحد الجماعات السلفية التكفيرية ويدعى عباس وهاجم المصلين في مسجد ضاحية الجرافة بام درمان وقتل عشرين مصلياً وجرح الكثيرين . ولا تسأل لماذا فعل ذلك؟فإن من قرأ هذه الفتاوى ،ورسالة الدلائل في موالاة أهل الإشراك ورسالة ،الإنتصارلحزب الله الموحدين لابن بطين، ورسالة لشرك الذي لا يعذر جاهله لابن بطين، ورسالة تكفير المعين للشيخ إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ فلن يتعجب بعد ذلك .وتأمل في كتاب الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبدالوهاب حيث قال في إحدى الرسائل التي أرسل بها إلى محمد بن عيد من أهل ثرمدا ما نصه: فإذا كنت تعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم ما قاتل الناس إلا عند توحيد الألوهية،

---

[٣] وهم بعض أهل نجد وغيرها من القبائل.
[٤] وهم العثمانيون .!!

وتعلم أن هؤلاء قاموا وقعدوا ودخلوا وخرجوا وجاهدوا ليلا ونهاراً في صد الناس عن التوحيد يقرءون عليهم مصنفات أهل الشرك لأي شيء لم تظهر عداوتهم وأنهم كفار مرتدون ؟ فإن كان باين لك أن أحداً من العلماء لا يكفر من أنكر التوحيد أو أنه يشك في كفره فاذكره لنا وأفدنا. أنتهى وهو تكفير للمعينين لا تكفير وصفي كما يتوهم البعض.وهذا سر قول الشيخ ابن سحيم عن الشيخ محمد : (ومن أعظمها أن من لم يوافقه في كل ما قاله، ويشهد أن ذلك حق، يقطع بكفره، ومن وافقه، ونحى نحوه، وصدّقه في كلَّ ما قال، قال: أنت موحَّد، ولو كان فاسقاً محضاً).أنتهى

هل الشيخ يكفّر المعين

المغالون في الشيخ يقولون :أن الشيخ لا يكفر المعّين .مع أن ذلك مخالف للنقول المدونة عنه .وحجتهم في ذلك قول الشيخ : (وقولكم إننا نكفر المسلمين، كيف تفعلون كذا، كيف تفعلون كذا. فإنا لم نكّفر المسلمين، بل ما كفّرنا إلا المشركين).أنتهى وكل عاقل يعلم أن المشركين في نظره هم من خالفه من علماء عصره وعامتهم.فلماذا السعي في تزوير الحقائق !!بل تأمل ما نقلت لك بعاليه من فتاوى للمشايخ تدل على التكفير وتسوق إلى التقتيل والتدمير .ولعلك تلاحظ كيف احترق المجتمع المسلم بهذه الأفكار. ومنهم جماعات سلفية كجماعة أنصار السنة في السودان فكان منهم قتلى بل حصلت المذبحة في مسجد أنصار السنة ،وما ذاك إلا لأن منهم من كفّر بالوصف ولم يكّفرالشخص نفسه ،ومنهم من يرى أنه لاعذر بالجهل في هذه المسألة وعليه فإن الفاعل له كافر بلاريب .فاختلفوا وأصبح بعضهم يكفّر بعضاً تحت دعوى ومن لم يكّفر الكافرين فهو كافر ،وحيث أن من يطوف بالأضرحة أو يستغيث بالموتى يفعل الكفر فإن من لم يكّفره فهو

كافر ،ومن صلى خلفه فهو مداهن مارق وصلاته باطلة .وهكذا تتوالى أحداث الغلو في صفوفهم.

الموقف الثالث: موقفهم في الجزائر :حيث دب التشدّد والتكفير بينهم لاعتمادهم على كتب النجديين كما يقولون. فكتب أحد مشايخهم وهو السيد:الحسن بن علي بن المنتصر بن الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني الجزائري ما نصه:أما بعد، فقد كثر الخوض هذه الأيام في مسائل قديمة عادت لها الحياة من جديد، و قد فزع أصحابها إلى كتب الدعوة النجدية و اقتبسوا منها، و أيدوا بها مقالاتهم. و كأنهم بذلك حسموا النزاع و أنهوا الإشكال و لقد كان يمكن أن يقف الأمر إلى خلاف فقهي أو أصولي لا يفسد للود قضية، و تبقى معه محبة الإسلام و موالاته، لكن المخالف زعم أنهم أهل الحق المحض و المخالف لهم مبتدع يستحق الهجر زجرًا له و لأمثاله!!و قد كنت أظن أن رسالتي «الأجوبة الوفية عن الأسئلة الزكية» ستحل الإشكال و تبين مواضع الخلل لتتآلف القلوب، خاصة و نحن جميعًا في محنة واحدة و سيف واحد مسلط على الجميع، لكن المخالف زاد تعصباً للدعوة النجدية، و زعم أن النقد قدح في علماء نشروا السنة و نصروا التوحيد، و أنني قصدت إلى التقليل من شأن النجديين و الاستهانة بهم و لم أفهم كلامهم و لا أحسنت الظن بهم. ....إلى أن قال :وقد كان ينبغي للمخالف، فرج الله عنا و عنه، أن يترك التعصب للرجال، و تقليدهم في القيل و القال، و يرجع إلى المنهج المعصوم لأهل القرون الفاضلة..........

وقال أيضاً: <u>وسر المسألة و حقيقتها التي ينبغي فهمها و توضيح أمرها ليزول الإشكال، أن الدعوة النجدية قامت كلها على فكرة لخصها ابن عبد</u>

الوهاب في رسالته «كشف الشبهات» إلى أخر ما ذكر الكاتب في رسالته التي بعنوان (نظرات في الدعوة النجدية)............

وبه يتبين للقارىء المنصف ضرورة هذا الرد لعل فيه إيقاظ لمن أراد الحق .

سبب تكفيرهم للمسلمين وعدم قبولهم لحججهم

ليعلم الأخوة الدعاة من أهل الإنصاف في كل مكان أن هؤلاء على أقسام :

القسم الأول: دعاة وعلماء مخلصون لله تعالى يبتغون بعملهم وجه الله، ولا يريدون إلا بيان الحق ،وحماية التوحيد ،وإبطال الشرك والتنديد وهذا في كثير من علماءهم نحسبهم كذلك والله حسيبهم .وهؤلاء منشأ الخطأ عندهم من تقليد مشايخ سبقوهم من الذين غلطوا في بيان مفهوم الشرك وعدم التفريق بين أنواع الاستغاثة .فصاروا بعد الشيخ محمد بن عبدالوهاب مقلدون له ولايتحولون عنه في قضايا الاستغاثة ونحوها . ولو كان الشيخ على حق لما كان عليهم ملام ولا عتب ،ولكن من خلال هذا الرد الذي سأنقل فيه بيان علماء الأمة وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في إيضاح مفهوم الشرك سيتبين للعاقل المنصف مكمن الخطأ والزلل،إن شاء الله تعالى. ومن أراد الحق وفقه الله لذلك كماقال ((والذين جاهدوافينا لنهدينهم سبلنا)) .

القسم الثاني: أصحاب أقلام مستأجرة لنشر هذا الفكر والدفاع عنه مقابل دراهم معدودة وهؤلاء هم أكثر من يشوش صور الإلتقاء ،وينفخ في نار الفرقة والشقاق ،لأنه بمجرد أن يتفق علماء الأمة على مفهوم الشرك وضابطه والفرق بين البدعة ،والشرك ،فإن مهمة هؤلاء تنقطع ،ومصادر رواتبهم من المشايخ والمؤسسات الدينية تتوقف لإنتهاء المهمة واتضاح المسائل .وتجد دور هؤلاء

في إضرام نار الشقاق في الكتب ،والمجلات ،وشبكات الإنترنت والفضائيات . وهذا مشهور لا ينكره عاقل .ومنهم من سُّوِّدوا قبل أن يتعلموا ،فلا مطمع في تركهم لهذا السؤدد والرياسة إلا من أراد الله له الهداية.

القسم الثالث: أعداء الأمة الإسلامية من منظمات صهيونية تسعى في الفرقة ليل نهار .وهذا لا يخفى على متابع ،ويتم ذلك في مواقع في شبكة الإنترنت والفضائيات لخدمة هذه الفكرة .

القسم الرابع : أصحاب جهل مركب أكثروا من التكفير ،والتفسيق ووصل بهم الحال إلى التفجير والقتل والتدمير ، كفى الله الأمة شرهم ورد كيدهم في نحرهم .

فائدة تاريخية : قال المؤرخ الدكتور عبدالله العثيمين في مقاله المنشور بمجلة " الدارة " (العدد 3 السنة 4) بعنوان : " نجد منذ القرن العاشر الهجري " :

(المصادر المتوافرة بين أيدينا غير متفقة في وصفها للحالة التي كان عليها النجديون من حيث العقيدة والقيام بأركان الإسلام خلال الفترة التي يتناولها هذا البحث، فالمصادر المؤيدة لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب تعطي صورة قاتمة لتلك الحالة، لكن بعضها يختلف عن البعض الآخر في المدى الذي يصل إليه قتام هذه الصورة) .

إلى أن قال:(لكن بعض المصادر تبرز نجداً موطناً لعلماء أجلاء أكثرهم كان يتحلى بالورع والصلاح، كما أنها تصور غالبية سكانها من الحضر –على الأقل– متمسكة بأحكام الإسلام، منفذة لواجباته وسننه ، والأشعار التي قيلت في تلك الفترة لا تحتوي على ما يخالف العقيدة الإسلامية الصحيحة أو يتنافى مع أحكام الإسلام العامة، بل إن تلك الأشعار تبرز تمسك قائليها بعقيدتهم والتزامهم بإسلامهم، وتوضح أن المجتمع الذي عاشوا فيه كان مجتمعاً مستقيماً في أكثر تصرفاته. إلى أن قال(ومن المقارنة بين المصادر

المختلفة يبدو أن الحالة الدينية التي كانت سائدة في نجد آنذاك لم تكن بالصورة التي أظهرتها بها بعض المصادر المؤيدة لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية) .أنتهى كلامه. وقد ذكر هذه الحقيقة أيضاً في كتابه " الشيخ محمد بن عبدالوهاب – حياته وفكره " ص 21–22 ، وكتابه " تاريخ المملكة العربية السعودية " ج1/53. 56 ولامناص للمؤرخ والباحث أن يصل إلى النتيجة التي قالها المؤرخ العثيمين.

النقض لكتاب كشف الشبهات

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب :

اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده.

أما تعريف التوحيد هنا ففيه قصور ،لأن التوحيد أعم من ذلك فهو اعتقاد وحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله وأنه لا معبود بحق إلا الله.

قال الحافظ ابن حجر في " الفتح " : (وَقَالَ أَبُو الْقَاسِم التَّمِيمِيّ فِي " كِتَاب الْحُجَّة " : التَّوْحِيد مَصْدَر وَحَّدَ يُوَحِّد ، وَمَعْنَى وَحَّدْت اللَّه اِعْتَقَدْته مُنْفَرِدًا بِذَاتِهِ وَصِفَاته لَا نَظِير لَهُ وَلَا شَبِيه , وَقِيلَ مَعْنَى وَحَّدْته عَلِمْته وَاحِدًا ، وَقِيلَ : سَلَبْت عَنْهُ الْكَيْفِيَّة وَالْكَمِّيَّة فَهُوَ وَاحِد فِي ذَاته لَا اِنْقِسَام لَهُ ، وَفِي صِفَاته لَا شَبِيه لَهُ،فِي إِلَهِيَّته وَمُلْكه وَتَدْبِيره لَا شَرِيك لَهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ وَلَا خَالِقَ غَيْره)
وقال الإمام الباجوري :هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً .[٥]

فالمصّنف قصر تعريف التوحيد على فعل العبد وهو إفراد الله بالعبادة ،مع أن التوحيد أعم من ذلك. وإنما أقتصر على ذلك لسببين فيما يظهر : الأول : أنه يعتقد أن التوحيد الذي أرسل به الرسل هو توحيد العبادة فقط كما سيأتي

---

[٥] شرح جوهرة التوحيد ص 38 تحقيق عبد السلام شنار

في كلامه غفر الله له .وقد تابعه على ذلك أكثر مشايخ نجد ومنهم على سبيل المثال الشيخ صالح الفوزان الذي يقول في شرحه لكتاب التوحيدالمسمى إعانة المستفيد ما نصه: أما توحيد الربوبية فقد أقر به المشركون، ولم يدخلهم في الإسلام، ولم يحرم دماءهم وأموالهم، ولا ينجيهم من النار، وإنما هو دليل وبرهان لتوحيد الألوهية.وإن كان علماء الكلام[6] قد أتعبوا أنفسهم في تحقيق هذا النوع، وبنوا عليه مؤلفاتهم في العقائد، وهو تحصيل حاصل، وسعي بلا طائل، وليس هو التوحيد الذي جاءت به الرسل،وإنما التوحيد

الذي جاءت به الرسل ودعت إليه هو توحيد الألوهية.أنتهى كلامه

وهذا خطأ واضح سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

السبب الثاني: أنه ركز في كتابه ودعوته على هذا القسم من التوحيد بخلاف بقية الأقسام .

قال المؤلف:فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً، وآخر الرسل محمد ﷺ، وهو الذي كسر **صور هؤلاء الصالحين، أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله.يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله ، ونريد شفاعتهم عنده؛ مثل الملائكة، وعيسى، ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين .**

الجواب:أولاً :هنا يصور الشيخ أن نوحاً عليه السلام بعث لمجرد أن قومه غلو في الصالحين .وهذا صحيح لكنه و سع المعنى .بينما المعنى الذي بعث له عليه السلام أخص .إذ المعنى الذي بعث لدفعه . عليه السلام . من أسوأ

[6] علم الكلام :هو علم العقائد سمي بذلك لأن أكثر مسألة اختلف فيها أهل الملة هي مسألة كلام الرب جل وعلا.فسمي بذلك.والمشايخ يخلطون بين مسمى علم الكلام ومسمى الفلسفة ويجعلونها في سلة واحدة ،وهذا غلط .وغرضهم بذلك ترهيب طلبة العلم عن البحث في أقوال المخالفين بحجة أنهم علماء كلام .ويستشهدون بذم الشافعي وغيره لأهل الكلام مع أن الشافعي إنما قصد المبتدعة كما أوضحته بإسهاب في كتابي درر الألفاظ العوالي .

صور الغلو ذلك أنهم عبدوا أصناماً صنعوها على صور هؤلاء العلماء وادعوا أنهم شركاء لله تعالى ، وهذه الأرباب المزعومة التي عبدها قوم نوح هي وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً . فليس مجرد غلو بل هو أعظم مراتب الغلو وهو اعتقاد أنهم شركاء لله تعالى مع صرف العبادة لهؤلاء الشركاء [٧] ، ولذا جاء في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : (وقالوا لا تذرُنَّ آلهتكم ولا تذرُنَّ وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) ، قال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت).فعبادة المتبوع من أدق أنواع الغلو الذي يختص بتسمية أدق وهي أنهم يعتقدون أنهم شركاء لله تعالى .

ثانياً : أما قول المصنف (وآخر الرسل محمد ﷺ، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين)فالحق أن الرسول صلى الله عليه وسلم كسر الأرباب المزعومة كهبل وغيره من الأصنام التي كان الناس يعتقدون أنها أنداداً لله تعالى وليست مجرد صور للصالحين ، وذلك يوم الفتح حين دخل الكعبة فوجد حولها وفيها ثلثمائة وستين صنمًا وجعل يطعنها عليه الصلاة والسلام بالحربة وهو يتلو قوله تعالى: {وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}وإلا فما أكثر صور الصالحين والطالحين في زماننا،بيد أن الفرق أن تلك الصور هي أصنام يدّعي الكفار أنها شريكة لله تعالى ويعبدونها معه.

الخطأ الشائع في تقرير توحيد الربوبية

[٧] قال الله تعالى ((إن الشرك لظلم عظيم)

قال المصنف : وإلا فهؤلاء المشركون مقرون ويشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك لهوأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن والأراضين السبع ومن فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره .

الجواب : المصنف هنا يتكلم عن توحيد الربوبية ،وتوحيد الربوبية : هو إفراد الله تعالى بأفعاله . ومن أفعاله ما ذكر المصنف كالخلق والرزق والتدبير .

وهنا مسألتان : المسألة الأولى : أن أهل الشرك أقروا لله تعالى بما ورد في الآيات فهذا صحيح قال تعالى {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ}

المسألة الثانية :أنهم أفردوا الله تعالى بالأفعال ولم يجعلوا له شركاء فهذا باطل.وبطلانه بدليلين : أما الأول:فإنكارهم لبعض أفعال الله تعالى كالبعث والحشر ونشر الصحف ،والجزاء ،وغير ذلك من أفعاله جل جلاله فجميع هذه الأفعال لله تعالى يكفرون بها ،فهم إذن لم يُقّروا لله بأفعاله بل كفروا بها قال تعالى {زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ..}وقال العاص بن وائل وقد فت عظماً قد أرم [يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا]؟!

وأما الدليل الثاني : فإنهم يعتقدون أن هناك من المخلوقات من يستقل بتدبير بعض أمور الكون وهذا شرك في الربوبية .فمن أدلة ذلك مارواه الإمام البخاري والإمام مسلم عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : (هل تدرون ماذا قال ربكم؟) ، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من

قال : مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب) . ولهما من حديث ابن عباس بمعناه وهي سبب نزول قول الله تعالى { وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون }.وعليه تعلم أنهم يعتقدون أن الأنواء ترزقهم الغيث فأين هذا من الشهادة لهم بأنهم أفردوا الله بأفعاله؟!

ومن ذلك اعتقادهم أن التمائم تدفع الضر لا على وجه السببية بل على جهة الاستقلال أو الشراكة لله تعالى. أما دليل ذلك: فقوله صلى الله عليه وسلم ((من تعلق تميمة فقد أشرك) ، ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) .ولا وجه لصرف ذلك إلى الشرك الأصغر إلا ظن المصنف وغيره أنهم وحدوا الله في أفعاله ،وهذا باطل ،بل هم مشركون في ذلك الشرك الأكبر .ولذا فالنصوص الشرعية تبقى على ظاهرها حتى يرد ما يصرفها عن ظاهرها من أدلة أخرى . قال ابن قتيبة في غريب الحديث :التميمة خرزة كانت الجاهلية تعلقها في العنق ،وفي العضد تتوقى بها وتظن أنها تدفع عن المرء العاهات ،وكان بعضهم يظن أنها تدفع المنية حيناً. ويدلك على ذلك قول الشاعر [من الطويل]

إذا مات لم تفلح مزينة بعده * فنوطي عليه يا مزين التمائما. أنتهى كلامه

وقال ابن الأثير الجزري رحمه الله :إنما جعلها شركاً لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم ،فطلبوا دفع الأذى من غير الله تعالى الذي هو دافعه .قال :فكان المعنى في هذا إن علقها معتقداً أنها تضر وتنفع كشريك لله فهو شرك مخرج من الملة . أنتهى

وقال الإمام ابن عبدالبر وهذا كله تحذير ومنع مما كان أهل الجاهلية يصنعون من تعليق التمائم والقلائد يظنون أنها تقيهم وتصرف البلاء عنهم وذلك لا يصرفه إلا الله عز وجل وهو المعافي والمبتلي لا شريك له فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كانوا يصنعون من ذلك في جاهليتهم .أ . هـ من كتاب التمهيد17/ 161

قال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني عن الطيرة : وإنما جعل ذلك شركاً لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعاً أو يدفع ضراً فكأنهم أشركوه مع الله تعالى . أنتهى من فتح الباري213/10

وجاء في الملل والنحل للشهرستاني ج2ص248قال :كان قصي بن كلاب يقول :

أرباً واحداً أم ألف رب :أدين إذا تقسمت الأمور

تركت اللات والعزى جميعاً :كذلك يفعل الرجل الصبور .

وقيل هي لزيد بن عمرو بن نفيل . فتأمل في قوله أم ألف رباً فستجد أنهم يعتقدون التصرف والتدبير والعبادة لأرباب لالرب واحد .

الخلاصة : إذا تبين لك ماسبق علمت أموراً مهمة فمنها:

1. أن المشركين أشركوا في الربوبية والعبادة لا في العبادة فقط كما يظن المؤلف وغيره ممن سبقه ومن قلده في ذلك.

2. أن الشهادة للمشركين في عصر الرسل بتوحيد الله في أفعاله وهو توحيد الربوبية شهادة باطلة ،فاحذر من شهادة الزور فكيف تلقى الله بشهادة كهذه ؟!

3. أن الأحكام الدينية تؤخذ من مجموع النصوص لا من تجزئتها ،فكونهم أقروا لله بالخلق والرزق وبعض الأفعال فلا يعني ذلك أنهم موحدون في الربوبية لأن معنى الربوبية أوسع من ذلك لأنه إيمان وتوحيد لله بجميع أفعاله لا بعضها .فتنبه لذلك .ومن الأفعال التي تجعلهم من أهل الشرك العظيم هو اعتقادهم أن معبوداتهم تملك النفع والضر كشركاء لله أو استقلالاً.وسيأتي مزيد أدلة إن شاء الله تعالى.

معنى السيد

قال المصنف عن المشركين في عصر النبوة : وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد.

ليس بصحيح أن كفار قريش يعنون بالإله ما يعنيه علماء الحنابلة والشافعية وغيرهم من العلماء في زمن المؤلف وغيره بلفظ السيد كما يقول !

ولفظ السيد يراد به معان مختلفة كما قال ابن الأثير : السيد يطلق على الرب والمالك، والشريف ،والفاضل ،والكريم ،والحليم، ومتحمل أذى قومه ، والزوج ،والرئيس،والمقدم . وأصله من ساد يسود فهو سيود فقلبت الواو ياء لأجل الياء الساكنة قبلها ثم أدغمت. أنتهى من كتاب النهاية في غريب الحديث مادة (السين مع الواو).

فالناس يقصدون بالسيد إذا أطلقوه إما الرئيس فيهم ،أو من كان من نسل الرسول صلى الله عليه وسلم وهم الأشراف ،أو نحوها من المعان .

ومراد المصنف أن الناس في زمانه يعتقدون في السادة ما يعتقده كفار قريش في الأصنام التي يسمونها الآلهة .وهذا باطل بلا شك .فالناس وعلى رأسهم علماء نجد من الحنابلة وغيرهم من علماء سائر أهل السنة يعتقدون أنه لاإله

إلا الله يتلفظون بها ويعتقدونها ويؤمنون بمعناها . وهي شهادة التوحيد ولا ينقضها إلا الشرك أو غيره من أنواع الردة والأصل فيمن قالها السلامة من نقيضها حتى يثبت ذلك النقيض وعليه فقول المصنف:

(فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهّال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشئ من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله ، ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجل جهّال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله) .

وهذا كلام باطل ليس بصحيح وفيه دعاوى :فمن من علماء السنة أتباع المذاهب الأربعة من يقول أن المطلوب هو التلفظ بالشهادتين من غير اعتقاد القلب بوحدانية الله وأنه لا مستحق للعبادة سواه؟!

قال المصنف: والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين

في هذه العبارة تكفير لعلماء عصره فتنبه لذلك ،وقد أكد ذلك بقوله :

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا

ومراده بالمشركين هنا هم علماء الأمة الذين كانوا يردون على الشيخ غفر الله للجميع.

قال المصنف: إذا قال لك بعض المشركين :﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس:62]، أو استدل بالشفاعة أنها حق، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شئ من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره، فجاوبه بقولك: إن الله ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم :﴿هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾[يونس:18] هذا أمر محكم

بين، لا يقدر أحد أن يغيير معناه، وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام

النبي ﷺ لا يخالف كلام الله عز وجل، وهذا جواب سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى، فلا تستهن به فإنه كما قال تعالى :﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾

أقول : أولاً : تبين بما سبق خطأ المصنف وغيره في اعتقادهم أن الكفار وحّدوا الله في الربوبية ،وعلى ذلك فكلامه مبني على تصور أن الكفر في مجرد التعلق بالملائكة والنبين والأولياء وهذا باطل بما سبق .

ثانياً:أن التعلق بالرسل والملائكة والأولياء الأصل فيه أنه مطلوب شرعاً، وإنما المحذور هو في رفعهم فوق مكانتهم ،فلا يجوز رفع قدر العالم والولي إلى درجة النبوة وذلك كفر فما بالك بمقام الربوبية .

ولا يجوز رفع الرسل عليهم السلام إلى مقام الربوبية كما فعل النصارى في إطراءهم لعيسى عليه السلام.ولذا قال عمر رضي الله عنه :((إن رسول الله قال لا تطروني كما أطري عيسى ابن مريم وقولوا عبد الله ورسوله)) قال بدر الدين العيني في شرحه لصحيح البخاري:قوله (لا تطروني) من الإطراء وهو المبالغة في المدح .قوله:(كما أطري عيسى)على صيغة المجهول وفي رواية سفيان كما أطرت النصارى عيسى عليه السلام حيث قالوا هو ابن الله ومنهم من ادعى أنه هو الله. أنتهى

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : والإطراء المدح بالباطل تقول أطريت فلاناً مدحته فأفرطت في مدحه. قوله :كما أطرت النصارى بن مريم أي في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك .أنتهى

وبه نعلم حدود المدح الجائز وأن التعلق بالمخلوقين يأتي على قسمين:

القسم الأول:تعلق مشروع : وسبق بيان حدوده .وتعلق ممنوع : وهو مجاوزة الحد فيه إما بعبادته أو ادعاء النبوة للولي أو أنه أفضل من النبي وهذا هو الممنوع .

ثالثاً: استدلال الشيخ بقوله تعالى :﴿هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾ على أن تعلق كفار قريش بكونهم جعلوا الملائكة والأنبياء شفعاء كما أن المسلمين جعلوا الأنبياء والأولياء شفعاء .وهذا باطل لبطلان التصور الذي نتج عنه فساد الحكم .

فأما الآية فيأخذ حكمها بمعرفة ثلاثة أشياء:

الشيء الأول :يعلم حكمها بتمام معناها وتمام معناها يكون بذكر الآية كاملة غير مجتزئة عن سباقها وسياقها .

الشيء الثاني:بضم النصوص الأخرى في هذا المعنى . أي معنى الشفاعة ..

الشيء الثالث: ذكر أقوال العلماء في تفسير ذلك فلها تفسير محفوظ عن علماء الأمة رحمهم الله تعالى.

فأما الآية :فتمامها بذكر ما قبلها وبعدها فقد قال تعالى {ويعبدون من دون الله ما لا يضر هم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون }

وجاء في هذا المعنى آيات أخرى: فمنها قوله تعالى {ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون}**قال مقاتل في تفسيره**:{ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة } ، يقول:لا تقدر الملائكة الذين يعبدونهم من دون الله الشفاعة ، وذلك أن النضر بن الحارث ونفراً معه ، قالوا : إن كان ما يقول محمد حقاً ، فنحن نتولى الملائكة ، وهم

أحق بالشفاعة من محمد صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : { ولا يملك } ، يقول : ولا يقدر : ، { الذين يدعون من دونه } ، وهم الملائكة ، { الشفاعة } ، يقول : لاتقدر الملائكة الذين تعبدونهم من دون الله على الشفاعة لأحد ، ثم استثنى ، فقال : { إلا من شهد بالحق } ، يعنى بالتوحيد من بنى آدم ، فذلك قوله : { وهم يعلمون } أن الله واحداً لاشريك له ، فشفاعتهم لهؤلاء .أنتهى كلامه وقال الإمام الرازي في تفسيرها: ذكر المفسرون في هذه الآية قولين أحدهما : أن الذين يدعون من دونه الملائكة وعيسى وعزير ، والمعنى أن الملائكة وعيسى وعزيراً لا يشفعون إلا لمن شهد بالحق ، روي أن النصر بن الحارث ونفراً معه قالوا إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد ، فأنزل الله هذه الآية يقول لا يقدر هؤلاء أن يشفعوا لأحد ثم استثنى فقال : { إلا من شهد بالحق } والمعنى على هذا القول هؤلاء لا يشفعون إلا لمن شهد بالحق.

والقول الثاني : أن الذين يدعون من دونه كل معبود من دون الله ، وقوله { إلا من شهد بالحق } الملائكة وعيسى وعزير ، والمعنى أن الأشياء التي عبدها الكفار لا يملكون الشفاعة إلا من شهد بالحق ، وهم الملائكة وعيسى وعزير فإن لهم شفاعة عند الله ومنزلة ، ومعنى من شهد بالحق من شهد أنه لا إله إلا الله .أنتهى كلامه

ومن الآيات الواردة في هذا المعنى أيضاً قوله تعالى { له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه }جاء في تفسير الإمام ابن جرير الطبري ما نصه: قال أبو جعفر. ابن جرير . : يعني تعالى ذكره بقوله:"له ما في السموات وما في الأرض" أنه مالك جميع ذلك بغير شريك ولا نديد، وخالق جميعه دون كل آلهة ومعبود.وإنما يعنى بذلك أنه لا تنبغي

العبادة لشيء سواه، لأن المملوك إنما هو طوع يد مالكه،وليس له خدمة غيره إلا بأمره. يقول:فجميع ما في السموات والأرض ملكي وخلقي، فلا ينبغي أن يعبد أحد من خلقي غيري وأنا مالكه، لأنه لا ينبغي للعبد أن يعبد غير مالكه، ولا يطيع سوى مولاه.وأما قوله:"من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" يعني بذلك: من ذا الذي يشفع لمماليكه إن أراد عقوبتهم، إلا أن يخليه، ويأذن له بالشفاعة لهم. وإنما قال ذلك تعالى ذكره لأن المشركين قالوا: ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى! فقال الله تعالى ذكره لهم: لي ما في السموات وما في الأرض مع السموات والأرض ملكاً، فلا ينبغي العبادة لغيري، فلا تعبدوا الأوثان التي تزعمون أنها تقربكم مني زلفى، فإنها لا تنفعكم عندي ولا تغني عنكم شيئاً، ولا يشفع عندي أحد لأحد إلا بتخليتي إياه والشفاعة لمن يشفع له، من رسلي وأوليائي وأهل طاعتي.أنتهى كلامه

وأما الآية التي ذكرها المصنف فقال الإمام البغوي في تفسيره :

{ ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله } أتخبرون الله، { بما لا يعلم } الله صحته. ومعنى الآية: أتخبرون الله أن له شريكاً، أو عنده شفيعاً بغير إذنه، ولا يعلم الله لنفسه شريكاً؟! { في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون } أنتهى كلام البغوي.

وجاء في تفسير القرطبي في تفسيرها { ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم} يريد الأصنام.{ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله} وهذه غاية الجهالة منهم، حيث ينتظرون الشفاعة في المآل ممن لا يوجد منه نفع ولا ضر في الحال.

وقيل: " شفعاؤنا " أي تشفع لنا عند الله في إصلاح معائشنا في الدنيا.

(قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض) ...أي أتخبرون الله

أن له شريكاً في ملكه أو شفيعاً بغير إذنه، والله لا يعلم لنفسه شريكاً في السموات ولا في الأرض، لأنه لا شريك له فلذلك لا يعلمه.نظيره قوله: { أم تنبئونه بما لا يعلم في الارض } [الرعد: 33] ثم نزه نفسه وقدسها عن الشرك فقال:{ سبحانه وتعالى عما يشركون } أي هو أعظم من أن يكون له شريك وقيل: المعنى أي يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يميز {ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله} فيكذبون، وهل يتهيأ لكم أن تنبئوه بما لا يعلم، سبحانه وتعالى عما يشر كون !. ((والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم)) . أنتهى من تفسير القرطبي.

إذن تلخص مما سبق مسائل : فمنها:

1. أن المشركين عبدوا غير الله واعتقدوا أنهم شركاء لله في التصرف وفي استحقاق العبادة .

2. أن شفاعة الأنبياء والملائكة لا يمنع منها إلا الكفر وإلا فإن الله أذن أن يشفعوا للمؤمنين فقال تعالى{ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون } والمعنى أن الملائكة وعيسى وعزيراً لا يشفعون إلا لمن شهد بالحق، ومن هم الذين شهدوا بالحق ؟هم أهل لاإله إلا الله ولذا قال مقاتل: يعنى بالتوحيد من بنى آدم ، فذلك قوله : { وهم يعلمون } أن الله واحداً لاشريك له ، فشفاعتهم لهؤلاء .

3- أن الشفاعة على قسمين :

القسم الأول :شفاعة على وجه السببية دون مجاوزةلكونه سبب فقط لا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله ،فهذه لا شرك فيها أبداً .

القسم الثاني :اعتقاد أن لهم شيء من خصائص الربوبية فيعتقد أنهم شركاء لله في ملكه من تدبير أو شفاعة أو غيرها من ما يملكه أويعبدهم بأي عبادة ويجعل عبادتهم شفاعة له عند الله جل جلاله . فهذا شرك مخرج من الملة وعليه ينزل قوله تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قل أتنبئون الله بما لايعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ ففي الآية عدة أشياء متلازمة :

[أنهم يعبدونهم من دون الله]،[ويكذبون على الله فيدعون أنهم شفعاء لهم عنده،] [ثم بين أنهم مشركون بالله]فقال ((سبحانه وتعالى عما يشركون)) فهذه ثلاثة أشياء.

قال أهل التفسير ومنهم الإمام القرطبي ((قل أتنبئون الله بما لايعلم في السماوات ولا في الأرض)) أي أتخبرون الله أن له شريك في ملكه أو شفيع بغير إذنه والله لا يعلم لنفسه شريكاً في السماوات ولا في الأرض لأنه لا شريك له فلذلك لا يعلمه. أ . هـ

فالمصنف عفى الله عنه أورد الآية _مجتزئة عن سياقها وسباقها فيورد منها ((وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)) ولا يذكر ما قبل ذلك ولا ما بعده مما يوضح معنى الآية .

والمشركون يعتقدون فيها بعض ما يعتقدونه في الله وبناء عليه عبدوها كآلهة أخرى تشارك الله تعالى بعض خصائصه ولذا فهم يقولون ((أجعل الألهة إلهاً واحدا)).وقال تعالى في بيان مقالهم يوم القيامة (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) فتأمل في قوله نسويكم برب العالمين .

4. على فرض أن الاستغاثة بالأنبياء أو الأولياء لا تنفع ،فهذا لايعني أنهم أشركوا بالله تعالى يدل على ذلك أدلة أذكر منها دليلين :

دليل من الشرع ودليل من النظر .

فأما الدليل من الشرع: فهو أن الناس استغاثوا بآدام عليه السلام يوم القيامة أن يشفع لهم لظنهم أنه يقدر على ذلك على وجه السببية قال لست لها ، ومع ذلك فلا يعني أنهم أشركوا بالله لأن الشرك هو أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، فمجرد الاستغاثة بمن لا يستطيع أو لم يأذن الله له لا تعتبر شركاً إلا إذا أعتقد أنه شريك لله في أي شيء ،أو أنه المالك لها من دون الله أو مع الله .

أما النظر: فهو أن المستغيث لو استغاث بعاجز عن إغاثته كطفل صغير أو مشلول شللاً تاماً فلا يعني ذلك أنه جعل لله شريكاً في الدعاء لأنه لم يقصد عبادته أصلاً،ولا اعتقد أنه مالك للإغاثة أصلاً فتأمل.

5. أن الشيخ ومن قلّده بعد ذلك يجيزون الاستغاثة بالحي القادر الحاضر. بينمايعتبرون الاستغاثة بالميت شرك أكبر مخرج من الملة .رغم أنه لاوجه للتفريق بين الميت والحي ،ولا بين الحاضر والغائب ،ولا بين القادر وغير القادر. وذلك بجامع السببية لا التأثير الذاتي .ونفهم ذلك بفهم نقطتين :

النقطة الأولى: أنه لافرق بينهم في كونهم أسباباً لا شركاء لله تعالى ولا مستقلون عنه ،ولا مالكون لشيء من ملكه لا ضراً ولا نفعاً ،وإنما هم أسباب فقط ،والله مالك الملك حقيقة يعطي من يشاء ويمنع من يشاء .فإن استغاث مستغيث بالحي الحاضر المستطيع على أنه شريك لله ،أو له قدرة مستقلة عنه فهذا شرك أكبر .وكذا إن استغاث بغير مستطيع سواء كان حياً أو ميتاً، أو

حاضراً أو غائباً مادام أنه يعتقد فيه شيء من خصائص الله تعالى .وكذلك إن نوى عبادته بتلك الاستغاثة ،ومرد الأعمال إلى النية كما في الحديث.

النقطة الثانية :إذا فهمنا الفرق بين السببية ،والخالقية ،وأن السبب لا قدرة له من ذاته بل الأمر كله لله وحده لا شريك له فلنفهم بعد ذلك أن الأسباب متفاوتة في الفائدة ،ولا يعني هذا التفاوت أن تعاطي السبب الضعيف يعتبر شركاً بالله تعالى مادام أن الإنسان يظن فيه السببية فقط .

فلو أن غريقاً استغاث بحي أعمى ولا يسمع ،وضعيف لا قوة له لينقذه من الغرق مع علمه بضعفه وعجزه فهل نقول أنه مشرك بالله تعالى ؟!!

تعليق على كلام بعض المشايخ في الاستغاثة :

قال الشيخ العثيمين في شرحه لكشف الشبهات عند ذكره لأقسام الشفاعة :

الأول: الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم ودليله قوله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ}. [سورة الأنفال الآية: 9] .

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك، لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًا في الكون فيجعل لهم حظًا من الربوبية، قال الله تعالى {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُون } . [سورة النمل، الآية: 62].

الثالث: الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستعانة بهم، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ} [سورة القصص، الآية: 15].

الرابع: الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث بمشلول على دفع عدو صائل . فهذا لغو وسخرية بالمستغاث به، فيمنع لهذه العلة ولعلة أخرى وهي أنه ربما أغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المستغاث به وهو عاجز أن له قوة خفية ينقذ بها من الشدة].

الجواب: أقول : علّل الشيخ سبب كون الاستغاثة بالميت شركاً لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًا في الكون فيجعل لهم حظًا من الربوبية . وهذا باطل بأمرين :

الأول:أن الاستغاثة عمل من الأعمال الظاهرة ، ومرد الأعمال كلها إلى النية لأن النية تميز العبادة عن العادة وتميز العبادة التي لله عن عبادة غير الله، ومرد الأعمال كلها إلى النيات ولذا كان حديث النية من الأحاديث التي يدور الدين عليها كما في جامع العلوم والحكم ،وروي عن الشافعي أنه قال عن حديث((إنما الأعمال بالنيات))قال:هذا الحديث ثلث العلم.

فأقول إنّ جزم الشيخ وغيره بأن من يفعله يعتقد أن لهم تصرفاً في الكون لا وجه له أبداً، بل الأصل أن أهل الإسلام لا يعتقدون أن لله شريك في التصرف ،والتدبير، وسائر الأفعال، ولا يخفى عليهم ذلك مع تعاطيهم لكثير من الأسباب الظاهرة التي يفعلونها كوسائل لطلب الرزق، وطلب الأولاد بعلاج ونحوه من الأسباب ،والاستغاثة بطبيب لمريض ،وبرجال الإطفاء لحريق

وإنقاذ غريق ونحو ذلك من تفريج الكرب ،مع يقينهم بأن النفع والضر من النافع الضار جل جلاله لا مانع لما أعطى ،ولا معطي لما منع .وما تعاطوا الأسباب إلا لأن الله جبل الخلق على قانون السببية عادة .

فمن أين لنا أنهم ما فعلوا ذلك إلا أنهم يعتقدون لهم تصرفاً خفياً في الكون؟هلا شققنا عن قلوبهم فعلمنا نواياهم ؟!

ثانياً: بالنظر إلى عملهم الظاهر فلايدل على الشرك بقرينه إيمانهم بأنه لا إله إلا الله {قل هو الله أحد ، الله الصمد} يظهرونها ويعتقدونها بل تبين ثباتهم على دينهم رغم وجودهم في دول سمح بعض حكامها بالتعدد في الأديان وحرية إظهار الاعتقاد ونحو ذلك من الفساد ،ومع هذا فهم ثابتون على عقيدة المسلمين منابذين للشرك ،والكفر .فهلا أتقينا الله في هؤلاء المسلمين وأنقذنا أنفسنا من اتهامهم بالشرك ورميهم بالكفر ؟!

أما قول الشيخ : (الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث بمشلول على دفع عدو صائل . فهذا لغو وسخرية بالمستغاث به، فيمنع لهذه العلة ولعلة أخرى وهي أنه ربما أغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المستغاث به وهو عاجز أن له قوة خفية ينقذ بها من الشدة).

الجواب: إن المضطر لا مجال عنده للسخرية بمن يستغيث به ،وإنما هو من باب المثل القائل [الغريق يتعلق بالقش]فبطل بذلك ظن السخرية لأنه لا مكان لها في حال المضطرين .

وأما أن هناك من سيتوهم أن له قوة خفية فأقول: من أعتقد أن الله موجد وأن السبب له حدود ولاتصرف له على وجه الشراكة أو الاستقلال فهذا هو الأصل في المسلمين ،ولو طردنا توهم القوة الخفية في الأسباب لمنعنا من

الشفاعات الحسنة في التوظيف ،والزواج وغيرها لكي لا يظن أن لديهم قوة خفية .

والخلاصة :أن من عرف الرب ،وعرف الخلق ،وعرف حدود الأسباب ،وأن الله المتصرف في كل شيء: زالت عنه كل هذه الشكوك والظنون ولم يعد لها أي وجود .

قال المصنف :قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم ، فجاوبه بما تقدم وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقرّون بما ذكرت، ومُقرّون بأن أوثانهم لا تدبر شيئاً وإنما أرادوا الجاه والشفاعة. واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه .

الجواب:في كلام المصنف مسائل :

أولها: ذكر حال المسلمين الذين يدافعون عن دينهم ويقولون: نحن لا نشرك بالله جل جلاله وأن المخلوقات مجرد أسباب لا تنفع ولا تضر .وهذا ينفي عنهم دعوى اعتقادهم أنها أنداداً أشركوها مع لله كما يقول المصنف ومن قلده بعد ذلك .ودعواهم تلك يتحقق بها عصمة النفس والمال يشهد لذلك حديث أسامة بن زيدفي صحيح مسلم قتل مشرك أصلي بعد أن قال لا إله إلا الله واعتذر للنبي صلى الله عليه وسلم بأن المشرك لم يقل ذلك إلا لخوفه من القتل وأنه مشرك قد أسرف في قتل المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم ((أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله)) وفي رواية ((هلا شققت عن قلبه ((

وعليه فالمسلمون في عصر الشيخ يدافعون عن دينهم وأنفسهم ويقولون: نحن لا نعتقد فيهم ما تتهمنا به من اعتقاد النفع والضر فيهم ،ولا نعتقد أنهم شركاء لله ،ولا نعبدهم مع الله والشيخ يُصِّر على ذلك.

وسبق بيان أن ذلك مجرد شبهة عظيمة سببت الفرقة بين المسلمين، وأشغلت الأمة عن التوحيد الحقيقي ،وعن محاربة البدع الحقيقة وعن محاربة أعداءهم حقيقة إلى محاربة إخوانهم المسلمين .

الثانية : أنهم يتوسلون إلى الله تعالى بمنزلة الصالحين ،وجاههم أن يغفر لهم وأن يتقبل منهم ونحوها من حوائجهم التي يسألونها من الله وحده ويقدمون بين ذلك عمل صالح وهو التوسل بالصالحين .

الثالثة :أن المصنف يقول:أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺمُقرِّون بما ذكرت، ومُقرِّون بأن أوثانهم لا تدبر شيئاً وإنما أرادوا الجاه والشفاعة. واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه.

والجواب: **1.** أن هذا باطل فالكفار لا يقرون بعدم الشريك لله بل هم يعتقدون أن لله شركاء سواء في التدبير أم العبادة كما قال تعالى عنهم{أجعل الألهة إلها واحدا}.وقالوا في التلبية (لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) وقال تعالى {إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون } نقل ابن جرير بسنده عن مجاهد، قوله(والذين هم به مشركون) قال: <u>يعدلون برب العالمين</u>.....إلى أن قال ابن جرير: وذلك أن الله تعالى وصف المشركين في سائر سور القرآن أنهم أشركوا بالله ، ما لم ينزل به عليهم سلطاناً، وقال في كل موضع تقدم إليهم بالزجر عن ذلك ، لا تشركوا بالله شيئا. أنتهى فهم يقرون بوجود شركاءلله وإن كانوا مخلوقات لله إلا أنهم يشاركونه في أشياء .

وقد سبق بيان ذلك بمافيه كفاية .

2. أن الكفار يّدعون في أربابهم التدبير والتصرف في بعض أمور الكون ولذا قالوا {إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون (54) من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون (55) }قال ابن جرير الطبري في تفسيره : وهذا خبر من الله تعالى ذكره، عن قول قوم هود : أنهم قالوا له، إذ نصح لهم ودعاهم إلى توحيد الله وتصديقه، وخلع الأوثان والبراءة منها: لا نترك عبادة آلهتنا، وما نقول إلا أن الذي حملك على ذمها والنهي عن عبادتها ، أنه أصابك منها خبل من جنون . أنتهى إذن هم يعتقدون أن لها القدرة على أن تصيبه بالمرض والجنون وهذا شرك بالله في أفعاله لأنه لا يضر ،ولا ينفع حقيقة إلا الله جل جلاله. وهذا فيه تذكير بأنهم أشركوا في الربوبية . وكانوا يجعلون النجوم شركاء لله ومنها الشعرى قال تعالى {وأنه هو رب الشعرى } قال ابن جرير :يقول تعالى ذكره: وأن ربك يا محمد هو رب الشعري، يعني بالشعرى: النجم الذي يسمى هذا الاسم، وهو نجم كان بعض أهل الجاهلية يعبده من دون الله.وقال الألوسي في تفسيره لهذه الآية : ومن العرب من كان يعّظمها ويعتقد تأثيرها في العالم ويزعمون أنها تقطع السماء عرضاً ،وسائر النجوم تقطعها طولاً ،ويتكلمون على المغيبات عند طلوعها ففي قوله تعالى : { وأنه هو رب } إشارة إلى نفي تأثيرها .أنتهى كلام الألوسي .وقال القطان في تفسيره: {وأنه هو رب الشعرى } وقد نص بشكل خاص بأنه رب الشعرى اليمانية (ألمع نجم في كوكبة الكلب الأكبر ، وألمع ما يرى من نجوم السماء) – لأن بعض العرب كانوا يعبدونها . وكان قدماء المصريين يعبدونها أيضا ، لأن ظهورها في جهة الشرق نحو منتصف شهر تموز قبل شروق الشمس – يتفق مع زمن الفيضان في مصر الوسطى ،

وهو أهم حادث في العام ، وابتداء عام جديد .أنتهى وهذا واضح فيما ذكرت من اعتقادهم مشاركتها لله في أفعاله ويعبدونها أيضاً.

قال المصنف: فإن قال: هذه الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟ فجاوبه بما تقدم فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة ،ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره، فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الصالحين والأصنام ومنهم من يدعو الأولياء

الجواب: 1. تقدم سابقاً الخطأ في اعتقاد الشيخ أنّ الكفار وحّدوا الله في أفعاله.

2. أن الكفار لم يقتصروا على طلب الشفاعة فقط ، بل ضمّوا إلى ذلك دعوى أن هذه الأصنام آلهة وأرباباً وشركاء لله تعالى ثم عبدوها . والذي يتأمل في الآيات التي نزلت في المشركين مثل قوله تعالى: في نفي الشفاعة عن آلهتهم المزعومة: (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) وقوله تعالى ((فما تنفعهم شفاعة الشافعين))مع قوله تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) (الصافات، الآية 35) و قوله سبحانه: (الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون) (الحجر، الآية 96). يعلم أن وصفهم بالمشركين يرجع لكونهم يعتقدون أن أصنامهم وأوثانهم آلهة من دون الله، لها وجود مستقل وتستحق العبادة والخضوع وتقديم الطاعات المختلفة. لأنها تضر وتنفع وترزق، وتملك الشفاعة . لذلك جاءت الآيات القرآنية لتنفي هذه الاعتقادات والإيمان الخاطئ في هذه المعبودات المختلفة. يقول تعالى وهو يخاطب المشركين: (إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) (العنكبوت، الآية 17).ويقول سبحانه: (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) (الإسراء، الآية 56).

3. ذكر الشيخ مسألة الدعاء واعتبر أن توسل الناس أو استغاثتهم بالأنبياء عبادة .**وهذا لا ينفي ولا يقبل بل لابد من التفصيل في ذلك فإن الدعاء على أقسام:**

القسم الأول: دعاء عبادة: فيطلق الدعاء والمراد به عموم العبادة وهذا لا يصح لغير الله وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة، وعليه يقع الوعيد في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}. [سورة النمل الآية: 87]. وقوله تعالى {ولاتدع مع الله إلهاً أخر}

النوع الثاني: دعاء المسألة :وهذا يأتي على ثلاث صور:

الصورة الأولى : إذا اعتقد أن ما يدعوه متصرف في الكون . فهذا كفر والعياذ بالله فلا متصرف في أمور الكون قليلها وكثيرها دقيقها وجليلها إلا الله وحده لاشريك له .

الصورة الثانية :إذا سأل بقصد(أي بنية) القربة والعبادة فلا يصح هذا الدعاء إلا لله وحده لا شريك له ،فمن صرفه لغيره فهو كافر .

الصورة الثالثة: دعاء الداعي غير الله عزوجل فيجوز بشروط وهي:

1. أن لايتصور ولا يعتقد فيه إلا أنه سبب فقط لامتصرف ولا موجد ولا مستقل بشيء من الأمور ولا شريك لله في شيء منها .

2. أن لا يكون بقصد عبادته لأن العبادة لا تصح ولا تصرف إلا لله تعالى وحده لا شريك له ولما كان دعاء المسألة هو عمل من الأعمال الظاهرة فإن مرده إلى القصد والنية لحديث ((إنما الأعمال بالنيات)).

3. أن لا يسأله شيئاً مما لايجوز شرعاً كأن يسأله أن يخلق المعدوم ،ونحو ذلك مما لايتصور في مخلوق ولا يكون إلا لله وحده ،كذلك لا يسأله ماحرمه الله تعالى كقطيعة الرحم ونحوها مما جاء في الشرع بالنهي عنه . فالناس يدعو بعضهم بعضاً دعاء الطلب لاالعبادة وذلك إما طلب بين متماثلين ، أوطلب من الأضعف إلى الأقوى أوطلب من الأعلى للأدنى كالوالد مع ولده . وهذا لا مدخلية للشرك فيه بحال لأنهم لايعتقدون فيهم الندية والشراكة لله تعالى في أفعاله ولا في عبادته .وسبق أن بينت أن الأعمال الظاهرة مردها إلى النية أو القرينة الظاهرة على وجود الكفر . والناس لا يسألون الأنبياء والأولياء إلا على أن المعطي هو الله وحده والأنبياء ،والأولياء شفعاء في ذلك فقط وليس لهم من الإيجاد أو الملك شيئا.

أما كونهم يستطيعون أن يشفعوا لهم، أولا يستطيعون كأسباب فقط فهذا أمر أخر لا مدخل للشرك فيه ،لأنهم لا يتصورون أنهم يملكون الشفاعة استقلالاً أو شراكة وإنما هم يرجون أن يستجيب الله لهم فضلاً منه وتكرماً على أنبياءه وأولياءه .هذا كل مافي الأمر .

تنبيه :البعض يحاول المغالطة فيسمي الاستغاثة بالمخلوق نداء ،والاستغاثة بالخالق دعاء .ويتصور أن هذا يدل على أن الدعاء مخصوص بالعبادة ،والنداء لغير العبادة .!وهذا باطل ففي القرآن الكريم قال تعالى عن زكريا ـ عليه السلام ـ (إذ نادى ربه نداءخفياً ،قال ربي إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربي شقيا) فجعل النداء بمعنى الدعاء وأنه لايشقى به. وفي اللغة والاستعمال تقول العرب:دعوت الطبيب ،دعوت من ينقذني ،دعونا الرب جل وعلا.فلاوجه للتفريق إلا مجرد المغالطة .

قال المصنف: إذا أقررت أنه عبادة لله ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلا بد أن يقول: نعم

أقول : لا ، فهذا الجواب ليس بصحيح ،ولن يقر به إلا جاهل ،وإنما الجواب الصحيح أن يفصل فيقول:إن كان الداعي يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم أو غيره بنية العبادة له فهذا كفر مخرج من الملة لأن المستحق للعبادة هو الله وحده لا شريك له .

وإن دعاه دعاء المسألة لابنية التعبد له ،ولا لكونه شريكاً لله في أفعاله من رزق وتدبير ونحوه فلا مجال لكونه شركاً بالله تعالى لأن الشرك الأكبر جلي جداً وقد بينه الشارع في الكتاب والسنة .

فإذا تبين أنه دعاء مسألة فقط على وجه التسبب ،وعلمت أن الأسباب مهما عظمت ليست بمدبرة لأمر الخلق ولا تعطي ولا تمنع وإنما سألته كما يسأل الوالد ولده والموظف رئيسه مع يقينه أنهم مجرد أسباب وأن الله هو المعطي المانع ،لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

فلا يخلو حينئذ من صورتين :

الصورة الأولى : أن يكون هذا السبب ينفع بإذن الله عادة ويمكن أن يتخلف: وهذا هو شأن الأسباب وعليه فالأمر يجرى بحكم العادة فإن اعتاد الناس سؤال حي فيعطيهم الله مطلوبهم ويسألون ميت فيعطيهم الله مطلوبهم مع اعتقادهم أن الله المعطي حقيقة ففي ذلك أقوال للعلماء تأتي على جهتين:الجهة الأولى : سؤال الحي من الحي فهذا جائز بالإجماع إذا كان يسأله مباحاً.

الجهة الثانية : سؤال الحي من الميت فهذا فيه خلاف :فمن العلماء من منعه سداً للذرائع واعتبره محرماً،ومنهم من كرهه أدباً مع الله ولكي لا يلتفت

إلى الأسباب،ومنهم من أجاز ذلك وجعله مباحاً ومنهم من استحبه . فهي مسألة عملية فرعية لا مدخل للشرك فيها بحال، بعد أنني بيّنت أنه لايعتقد فيها الشراكة لله تعالى لا في أفعاله ولا عبادته.

حكم الذبح

قال المصنف: فقل له: فإذا عملت بقول الله تعالى :﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ الكوثر:2]، وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة، فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: فإذا نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلا بد أن يقر، ويقول نعم.

الجواب: قول الشيخ:(إذا نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلا بد أن يقر، ويقول نعم) أقول:هذا غير صحيح لأن فيه إجمال ، **لأن الذبح والنحر تأتي في الأصل على معنيين :**الأول : نحر بقصد العبادة فهذا لايكون إلا لله تعالى فمن أراد به غير الله عبادة فهو كافر.

الثاني :أن لايقصد به عبادة غير الله تعالى فهذا على أقسام: منها ماهو مطلوب فعله شرعاً ومنها ماهو مطلوب تركه شرعاً ومنها ماهو مباح لا يدخل في نهي ولا أمر فهذه أقسام ثلاثة .

فمثال المطلوب شرعاً : ماهو واجب كالنذر أن يذبح إن حصل له الأمر الفلاني .فيجب شرعاً الوفاء به.

ومنها ماهو مستحب عند أكثر العلماء : كالأضحية والعقيقة .

الثالث : ماهو مطلوب الترك : فمنه المحرم : ومن ذلك ذبح الصيد للمحرم بحج أو عمرة .

الرابع : ماهو مطلوب تركه كراهة تنزيه : كذبح الضب وأكله. لأن أكله مكروه في بعض المذاهب فماأدى إلى المكروه فهو مكروه.

الخامس : المباح : وهو مالم ينهى عنه ولم يؤمر به لا أمر وجوب ،ولا استحباب، ولا نهي تحريم ولا نهي كراهة فهذا لا يتصور فيه القربة لا في الفعل ولا في الترك إلا في حالة أن يحتسب ذلك.

وعليه فكلام المصنف لا يتصور إلا في ذبائح المشركين الذين يشركون بالله تعالى في عبادة أربابهم. قال الإمام الشربيني في مغني المحتاج: لا تحل ذبيحة مسلم ولا غيره لغير الله ؛ لأنه مما أهل به لغير الله ، بل إن ذبح المسلم لذلك تعظيماً وعبادة كفر كما لو سجد له لذلك . أنتهى فأنظر كيف أناط الكفر بالتعبد تعظيماً لغير الله كمن يسجد لغير الله .

والخلاصة : أن الأصل في المسلم أن لايذبح عبادة إلا لله وحده لا شريك له قال تعالى {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين }

وتبين من ذلك أن من يذبح لله وحده لا شريك له عند قبر، أو قصر تقرباً إلى الله تعالى لاشريك له فهذا ليس بشرك. ثم بعد أن علمنا أنه ليس بشرك فيبقى حكمه الفقهي حسب أقوال المجتهدين :من كونه مباحاً أو مكروهاً أو غير ذلك.ومقصودي فقط أن اتهام الناس بالشرك الأكبر لكونهم يذبحون عند القبور هو اتهام باطل لأن ذبحهم لله وحده صدقة عن هذا الولي أو إهداء ثواب إليه ونحو ذلك من المسائل الفقهية . لكن فعل الذبح عند القبور بدعة بلا شك وقدتكلم عن ذلك عدد من الأئمة في مؤلفات كثيرة وسوف

أتكلم عنه في مؤلف أخر بإذن الله تعالى .وإنما غرضي هنا بيان أنها ليست بشرك مخرج من الملة إلا إذا كان المقصود بالذبح ونحوه تعظيم غير الله كتعظيم الله تعالى لأنه تسوية وشرك ،أو نوى به عبادة غير الله تعالى فهذا مخرج من الملة وهذا يندر أن يحصل من مسلم.

معنى الشرك الأكبر

قال المصنف: وسر المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله، فقل له: وما الشرك بالله؛ فسره لي؟فإن قال: هو عبادة الأصنام، فقل: وما معنى عبادة الأصنام فسرها لي ؟ فإن قال أنا لا أعبد إلا الله وحده فقل: ما معنى عبادة الله وحده فسرها لي؟ فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب ، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئاً وهو لا يعرفه، وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، وأنه يفعلونه في هذا الزمان بعينه.

الجواب:أما الشرك بالله فقد بينه وعّرفه الشارع الحكيم في كتابه وبينه الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة المطهرة فقال تعالى {ومن الناس من يتخذ من دون الله **أنداداً** يحبونهم **كحب** الله } وقال الله تعالى في بيان حال الكفار مع معبوداتهم{تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ **نسويكم** برب العالمين } وقال تعالى في أول سورة الأنعام {ثم الذين كفروا بربهم **يعدلون** }قال ابن جرير يجعلون له شريكاً في عبادتهم إياه .وقال تعالى {إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون } نقل ابن جرير بسنده عن مجاهد،
قوله{والذين هم به مشركون) قال: يعدلون برب العالمين .فذكر أنهم يساوون بين الله وأوثانهم ،وأنهم يجعلونهم أنداداً لله وشركاء .والند هو النظير والشبيه المساوي والأنداد الأكفاء كما قال العلماء من أهل اللغة والشريعة قال ابن جريرفي تفسيره:وكل شيء كان نظيراً لشيء وشبيهاً فهوله

ند.أنتهى وعرّفه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: (**أن تجعل لله ندا ً وهو خلقك)**

إذن الكفار كانوا يعبدون غير الله والعبادة إما اعتقاد، أو قول، أو عمل .

فالاعتقاد: أن تؤمن بوجود شريكاً لله في أي شيء .وأماالعمل : فضابطه النية لأن الأعمال الظاهرة لها صور مشتركة فصلاة المنافق كصلاة المسلم ،وجهاده كجهاده في ظاهر الفعل.أما الباطن فيختلف . وكذا صيام من يصوم عبادة كصيام من صام استطباباً فاتفقت في صورتها وإنما اختلفت في حكمها بحسب القصد والنية .ولذا فالاستغاثة بالمخلوق لها ألفاظ منها أغثني وأدركني ،أرحمني ،خفف عني ، أمهلني ، أعطني ،لا تحرمني ونحوها ،وكذا بنفس اللفظ تصرفها للخالق .وإنما كانت للخالق عبادة وللمخلوق غير عبادة بحسب النية والقرائن ، فإن القرائن الظاهرة توضح بجلاء أن المسلمين لا يقصدون بأعمالهم عبادة نبي أو ولي أو غير ذلك استصحاباً للأصل وهو كونهم من أهل [لا إله إلا الله وحده لا شريك له] أي أنهم لا يعتقدون معبوداً لهم غير الله . جل جلاله . وإنما مقصودهم بهذه العبادة صرفها لله تعالى وحده لاشريك له سواء كانت هذه العبادة مشروعة أم مبتدعة [٨]فهم لا يريدون بها عبادة غير الله تعالى ،أما الكفار فهم يريدون بها آلهتهم فيعبدونهم كشركاء لله أو من دون الله .ولذا قالوا :{أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاًوَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ }وقال تعالى عنهم {إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون }فالمسلم يعتقد ويقول أنه لاإله إلا الله وحده لا شريك له ،وعلى ضوء ذلك يعمل فيكون عمله لله لا لرب سواه لأنه لايؤمن إلا به وحده لاشريك له فهو المستحق للعبودية وحده.

---

[٨] ولا شك أن البدع مردودة في وجه صاحبها ،وسيكون الكلام عنها في كتاب آخرإن شاء الله تعالى .

والخلاصة أنك تضبط المسألة :بالقرائن الجلية الدالة على أن العمل شرك بالله وهي تكفي في كون العمل شرك.كمن يسجد لمن يزعمون أنه رب معبود.

الثاني:إذا انتفت القرائن الصريحة فيبقى على الأصل ،والأصل في المسلم هو الإسلام فلا يزال هذا الأصل القطعي إلا بعمل قطعي .

قال المصنف: فإن قال: إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء، وإنما يكفرون لما قالوا :الملائكة بنات الله؛ فإنا لم نقل: عبد القادر ابن الله ولا غيره. فالجواب: إن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل

الجواب : هذا الكلام صحيح وهو أوضح من أنه يجهله مسلم عامي فضلاً عن عالم من علماء الأمة ،وكل ما سبق هو في جعل شركاء لله في عبادته وهو مدار هذه الرسالة .فليس في المسلمين من يعبد عيسى عليه السلام ،ولا محمد ﷺ فضلاً عن القبور والجمادات .

قال المصنف:وإن قال :﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[يونس:62]. فقل: هذا هو الحق، ولكن لا يُعبدُون، ونحن لم نذكر إلا عبادتهم مع الله، وشركهم معه، وإلا؛ فالواجب عليك حبهم واتباعهم والإقرار بكرامتهم، ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال.

الجواب :هذا صواب وإنما كان مدار النقاش على أن المسلمين لم يعبدوا إلا الله لاشريك له بخلاف أتهام الشيخ لهم بالشرك.

قال المصنف :فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا ...

الجواب: هذاالتكفير مبني على الشبهات السابقة من اعتقاد أن الناس يعبدون غير الله وقد تبين خطأ ذلك وتبين شرك أهل الجاهلية الأولى وأنه عمل عبادي لغير الله مبني على اعتقاد الشريك لله.

رسائل العلماء لاصدى لها

قال المصنف :إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺأصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم فاصغ سمعك لجوابها. وهي إنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول،

وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟
فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شئ وكذبه في شئ أنه كافر لم يدخل في الإسلام. ..إلى أن قال إذا كنت تقر أن من صدق الرسول في كل شئ وجحد وجوب الصلاة، أنه كافر حلال الدم بالإجماع، .... فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي محمد ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر؟ ولو عمل بكل ما جاء به الرسول، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر، سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل.

الجواب: اتضح من كلام المصنف مايلي :

1. أن العلماء في عصره راسلوه لإزالة الشبهة ولحقن الدماء ومنع تكفير المسلمين ووضحوا أنهم مسلمون مصدقون بالقرآن وما فيه ،ويعملون بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من صلاة وغيرها بخلاف المشركين الجاحدون لذلك .

2. أن الشيخ اعترض عليهم بكلام طويل حاصله أنه يعترف بذلك ولكن يتهمهم بأنهم آمنوا بشيء وكفروا بشيء أخر ووضح ذلك في أخر كلامه فقال : أنهم جحدوا التوحيد .

والرد على ذلك : رسالتهم تضمنت بالقول الصريح ما يرد على كلامه حيث قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي ونصوم..

وعليه فلا وجه لاتهامهم بأنهم جحدوا أي كذبوا بالتوحيد ،وقد تبين للقارىء الكريم أن الناس إنما أنكروا على الشيخ فهمه للشرك حيث أنه يتصور أن الناس يعبدون الأنبياء بالاستغاثة بهم ونداءهم ،وقد تبين للقارىء الكريم أن الناس من العصور الإسلامية المديدة إلى عصرنا هذا يفعلون ذلك وأنهم

لايقصدون بذلك دعاء العبادة والاستغاثة الشركية ،وإنما مرادهم دعاء النداء الذي هو من جنس ما يجري بين المخلوقين في حال الحياة ،لأن الشرك في حقيقته هو شرك لا يختلف بين حي وحي ،وبين حي وميت، فلا يصح أن نقول يجوز أن تشرك بالأحياء فتستغيث بهم وأما الأموات فلا يجوز . لأنه إن كان من الشرك فلا يجوز مطلقاً لا بحي ولا بميت وهو مخرج من الملة على الحالين ،وإن كان لمجرد النداء والدعاء لا العبادة ولا باعتقاد أن له التأثير والتصرف الاستقلالي أو كشريك لله في شيء من الأمور فلا يختلف بين حي وحي ولا بين ميت وحي إلا من حيث المشاهدة المحسوسة والعادة الغالبة .

شرك مسيلمة وقومه

قال المصنف:ويقال أيضاً: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺقاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون ويؤذنون، فإن قال: إنهم يقولون: أن مسيلمة نبي، قلنا :هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبي ﷺ، كفر وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف، أو صحابيا، أو نبيا، إلى مرتبة جبار السموات ؟

الجواب:1. بني حنيفة يّدعون أن مسيلمة نبي ،قالوا ذلك وقاتلواعليه ،فأين هؤلاء ممن يقولون نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله الخاتم ، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم ولايعبدون غير الله .

2. إذا وجدنا مسلماً يعظم رجلاً من الصالحين إلى أن يرفعه إلى درجة الربوبية ، فهذا يستتاب فإن تاب وإلا قتله الحاكم ردة .ولكن أن نتصور أن أكثرعلماء الأمة من عصر الشيخ إلى عصرنا يعتقدون أن الأولياء كجبار الأرض والسماء ،ونعمم الحكم على الناس فهذا باطل .لكن إذا وجد أفراد من الناس يعتقدون ذلك فحكمهم أنهم مرتدون يستتيبهم الحاكم وإلا قتلوا ردة.

قياس فعل المسلمين على ابن سبأ

قال المصنف:ويقال أيضاً: الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي رضي الله عنه وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي، مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أم تظنون أن الاعتقاد في تاجٍ وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب رضي الله عنه يكفر؟

الجواب: هو نفس الجواب بما سبق فإن عبدالله بن سبأ ومن شايعه اعتقدوا أن علياً رب معبود ،وصرحوا باعتقادهم وعرضوا عليه ذلك فكفّرهم وحرّقهم .فكيف يساوى بينهم وبين من يدافع ويقول: لا نؤمن إلا بالله وحده ولا نعبد غيره ولم يأتوا بأي ناقض لإسلامهم لا بالقول ،ولا بالفعل فضلاً عن الاعتقاد،وإنما المشكلة هي في التكفير بالعمل الظاهر دون النظر إلى قرينة الحال، والمقال التي تبّين أنهم مااعتقدوا ماتوهمه الشيخ من أفعالهم رغم أنهم صرحوا بمقاصدهم فلم يعد للوهم مجال .

بنو عبيد القداح (العبيدية)

قال المصنف :ويقال أيضاً: بنو عبيدٍ القداحِ الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويدعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين .

الجواب: هذا واضح البطلان: فإنهم اعتقدوا في حاكمهم أنه إله وصرّحوا بذلك واصبحوا يعتقدون فيه ذلك وبعض حكامهم ادعى النبوة مع عقائد أخرى كفرية وقد بحثها د. سعد بن موسى الموسى في بحثه موقف الإمام الذهبي من الدولة العبيدية نسباً ومعتقداً.

فكان مماذكر: في سنة تسع وتسعين ومائتين: إن عبيدالله المهدي الزنديق سمح لأتباعه أن يغرقوا في كفرهم حتى ألهوه فقد كانت أيمانهم المغلظة : «

وحق عالم الغيب والشهادة، مولانا الذي برقادة ».[٩] ورد في مخطوط "عقيدة الإسماعيلية" الذي نشره المستشرق جويار عن تأليه المعز لدين الله. وقال حسن إبراهيم حسن : « وقد بالغ ابن هانيء في غلوه فنسب لمولاه (المعز) بعض صفات النبوة والألوهية وبهذا مهد السبيل لمن جاء بعده من الشعراء. يدل على ذلك القصيدة الطويلة التي أنشدها في حضرة المعز والتي منها:

ولعلة ماكانت الأشياء: تجري بأمرك والرياح رخاء

أقدار واستحيت لك الأنواء: في راحتيك يدور حيث تشاء

هو علة الدنيا ومن خلقت له:ولك الجواري المنشآت مواخر

فعنت لك الأبصار وانقادت لك [١٠]

وقال : «ولم يفتر ابن هانيء عن مواصلة مدحه للمعز؛ ولكنا نراه يغرق فيجعله في منزلة عيسى ومحمد ، بل ينسب إليه بعض صفات الألوهية، كما يتضح ذلك في قصيدة أخرى حيث يقول:

غفار موبقة الذنوب صفوحاً: لدعيت من بعد المسيح مسيحاً

وممن كان يدعي الربوبية والإلهية الحاكم العبيدي حيث قال عنه الذهبي : «الإسماعيلي الزنديق المدعي الربوبية».[١١]ومما جاء في محضر بغداد الذي عقد سنة 402هـ : وأن هذا الناجم بمصر وسلفه... وادعوا الربوبية.[١٢] ومما ورد في المحضر أيضا: وأن هذا الناجم بمصر هو وسيلة كفار وفساق فجار زنادقة. ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون، قد عطلوا الحدود، وأباحوا

---

[٩] علي محمد الصلابي، الدولة العبيدية في ليبيا ص 86.

[١٠] انظر حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية ص 329

[١١] السير 15/ 173.

[١٢] تاريخ الإسلام حوادث سنة 401- 410ص 11، دول الإسلام 1/ 353، العبر 2/ 200.

الفروج، وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية».[13]ومع ادعائهم الربوبية والألوهية كانوا يدعون النبوة أيضا: حتى عوتب بعض العلماء في الخروج مع أبي يزيد الخارجي فقال: وكيف لا أخرج وقد سمعت الكفر بأذني، حضرت عقدا فيه جمع من سنة ومشارقة وفيهم أبو قضاعة الداعي فجاء رئيس فقال كبير منهم: إلى هنا يا سيدي ارتفع إلى جانب رسول الله يعني أبا قضاعة فما نطق أحد. [14] وكان عبيدالله المهدي يسخر من النبي . ومن موسى . في رسالة بعثها إلى داعيه أبي طاهر القرمطي –فيقول: ولاتكن كصاحب الأمة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال: «الروح من أمر ربي» لما لم يعلم ولم يحضره جواب المسألة، ولاتكن كموسى في دعواه التي لم يكن له عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعبذة.[15]

أنتهى ما أردت نقله من بحث الموسى المنشور في مجلة جامعة أم القرى.

2. بعد ما سبق يتبين لك خطأ الشيخ الشنيع في قوله أن هؤلاء العبيدية أخف من المسلمين الذين كّفرهم. مع تذكر ما سبق بيانه من خطأ الشيخ في حكمه على عملهم بالشرك فضلاً عن تكفيرهم بأعيانهم.

قال المصنف: إن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصة موسى ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾]القصص:15[وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله .

الجواب : أولاً :سبق أن بيّنت أقسام الاستغاثة، وأن الشيخ لا يجيز الاستغاثة إلا بالحي الحاضر القادر،وقد ذكرت أن الاستغاثة بالعاجز لا تعني

[13] نفس المصادر .
[14] السير 15/ 154.والمقصود بالسنة أهل السنة والجماعة .أما المشارقة فلقب يطلق على الباطنية لأنهم من أهل المشرق.
[15] عبدالقاهر البغدادي، الفرق بين الفرق ص 296.وانظر إحسان إلهي ظهير، الإسماعيلية ص 117.

أنه شريك لله تعالى لا في التصرف والقدرة ،ولا في استحقاق العبادة ،فلا معنى لكونه من الكفر المخرج من الملة .

ثانياً: أن ما يفعلونه عند القبور ليست عبادة للنبي،ولا الولي وإنما هي دعاء مسألة لا بنية التعبد. وسبق أن بيّنت أن الأعمال الظاهرة مردها إلى النية.فمن أين للشيخ أنهم أرادوا عبادة النبي أو غيره؟ لأن هذا يدفعه أمران :

الأمر الأول:استصحاب الأصل وهو كونهم من المسلمين .بدليل إيمانه بأن لاإله إلا الله ونطقهم بذلك وأعمالهم الشرعية من صلاة ونحوها كل ذلك يؤكد أنهم من أهل القبلة .

الأمر الثاني:أن الاستغاثة عمل والأعمال بالنيات فكيف تظن أن نيتهم بهذا العمل عبادة غير الله.

أما العمل بمجرده فليس فيه إلا استغاثة كاستغاثة المخلوق بالمخلوق الذي أجازه الشيخ وأتباعه ،وعليه فسواء كان هذا المخلوق مشلولاً أو ميتاً أو غير ذلك فلا مجال للشرك لأنه لا يقصد عبادته بهذا العمل ، ولايعتقد أن له إيجاد مستقل للأشياء ولا شريك لله في ذلك فبطل كل هذا التفريق.

وعدم نفع السبب لا يدل على أنه شرك بالله ،غاية مايدل عليه أن هذا السبب غير مفيد كمن أكل دواء الصداع لمرض السرطان فلا يعني أنه أشرك بالله فتأمل .

تدريب ذهني

س: المسائل التالية تشترك في صورة واحدة فماهو حكمها وما سبب الاختلاف في الحكم من مسألة إلى أخرى رغم اتحاد الفعل في الهيئة والصورة؟والجواب : أن الفرق بين هذه الأعمال المشتركة في الصورة هو

القصد والنية وهو مصداق قوله صلى الله عليه وسلم ((إنما الأعمال بالنيات))وأترككم للتفكر :

1. ثلاثة يصلون في صف واحد :فالأول:جاسوس كافر يفعل أفعال المسلمين ويشاركهم عبادتهم وليس له في الإسلام من نصيب إلا ما يظهره . فهل يعتبر مسلم حقيقة عند الله؟

والثاني: يصلي في نفس الصف ينوي بصلاته عبادة مارد من الجن .

والثالث :يصلي لا ينوي بصلاته إلا عبادة الله وحده لا شريك له .

2. ذبحوا ذبائح في مكان واحد. الأول: يقصد بها وفاء بنذر يتقرب به إلى الله تعالى . والثاني : إنما ينوي بها عبادة الأصنام . والثالث : ذبح لضيفه ليتقرب بها لله تعالى . والرابع :ذبحها لولي من أولياء الله ليتقرب بها إلى الله تعالى . والخامس : ذبحها لعالم قد مات من علماء الأمة يريد بذلك التقرب لله تعالى ؟ والسادس : ذبحها لقصد اللحم وسد جوعه ولم يرد بها العبادة ؟

3. حصل لبعضهم حادث غرق فاستغاثوا :

الأول : استغاث برجال الإطفاء الذين في بلدته .

والثاني :رأى فلاناً فاستغاث به وهو أصم أعمى ضعيف البنية لا يسمع ولايراه ولا يقدر على إنقاذه ؟

والرابع : استغاث بجني من المسلمين راءه ماراً به يستطيع إنقاذه ؟

والخامس: استغاث بملك من الملائكة لينقذه ؟

السادس: استغاث برجل ميت فاجر ؟

السابع: استغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم؟

4. استغاث مستغيثون :

الأول : استغاث بالله تعالى بقصد العبادة ؟

الثاني : استغاث بالله وبالصنم الذي يجعله نداً لله ؟

الثالث : استغاث بالله تعالى بقصد العبادة وبالطبيب بقصد أنه سبب فقط ؟

فقال: يارب أنقذني وأعثني،يا طبيب أنقذني وأعثني؟

باب الردة

قال المصنف ويقال أيضاً: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن، وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب "باب حكم المرتد" وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوعٍ منها يكفر ويحل دم الرجل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب .

الجواب: أن العلماء قاطبة لا ينكرون ما ورد في باب الردة ،وليست القضية في ذلك أصلاً ،وإنما المشكلة أن الشيخ جعل الأعمال الظاهرة شركاً مستنداً إلى تكفير الفقهاء لمن عمل عملاً يتصور أنه شرك ،وتقريره هذا باطل.

من جهات :الجهة الأولى : أن العلماء اختلفوا في بعض الأعمال التي ظاهرها الشرك هل هي شرك أم لا ؟ولذا اختلفوا في المذاهب الأربعة في بعض هذه الصور،ومع ذلك فلا يحكم على الحنبلي إلا قضاة مذهبه ولا على الشافعي إلا قضاة مذهبه ،وهكذا بقية أتباع المذاهب بينما الشيخ كّفر من خالفوه جميعاً رغم أن ما ذكر أنه رده ليس بردة أصلاً.

الجهة الثانية :**أن الأعمال التي عدّها بعض الفقهاءكفراً تأتي على صورتين:** الصورة الأولى : ماهو كفر صريح لا يفتقر إلى قرينة . كمن يسب الله تعالى .

الصورة الثانية : ماهو عمل يحتمل أنه شرك : فهذا لا يكون شركاً إلا بوجود القرينة الظاهرة الدالة على ذلك كأن يسجد لصنم ،أو شيء يعبد من دون الله كالشمس ونحوها .فكونها تعبد من دون الله هو القرينة الدالة على أنه فعله عبادة لها.

ولذا فلو سجد لما لايعبد كمن يسجد لأبيه أو أمه فإنه لا يكفر، لأن القرينة الظاهرة دالة على أنهما غير معبودين .رغم أنه واقع في كبيرة عظيمة من الكبائر ولكنها ليست بكفر أكبر. فتأمل.وممن نص على التفريق في ذلك بين الحالين علماء المذهب الحنبلي في كتبهم فمن ذلك ما قاله الإمام مرعي الكرمي وشرحه الرحيباني في مطالب أولى النهى باب الردة مانصه: ويتجه أن السجود لغير الله كبيرة من الكبائر العظام ، سواء كان لجامد أو متحرك ولو بنية التهكم – ويستتاب من فعل ذلك ، فإن تاب وإلا قتل (غير نحو صنم وكوكب) سواء كان من السيارة أو الثوابت ، فإن السجود لذلك كفر بإجماع المسلمين ، وهو متجه. أنتهى

فتنبه كيف فرق بين سجود لما يعتقد أنه رب معبود والسجود بدون ذلك.

فالأول يقتل تعزيراً والثاني يقتل مرتداً .

تنبيه: لا يكفّرون فيما سبق ذكره إلا إذا كان مكلفاً وهو البالغ العاقل .وأن يكون مختاراً غير مكره .

الجهة الثالثة : أن الشيخ جعل ماليس بشرك شركاً :ولذا خالفه علماء عصره من علماء المذاهب حنبليهم، وشافعيهم، وحنفيهم ،ومالكيهم .لأن القرائن الظاهرة دالة على أن هؤلاء العوام لا يعبدون الأولياء والأنبياء .فتبين من خلال ما سبق الفرق الكبير بين منهج الشيخ ومنهج العلماء في باب الردة .ومما

غره في ذلك ذكر بعض الحنابلة للاستغاثة في أنواع الردة كالإمام الحجاوي في الإقناع، وإنما مراد من ذكرها من الحنابلة الاستغاثة الشركية التي تفعل عبادة لغير الله تعالى ،وليس مقصودهم الاستغاثة السببية التي بدون قصد العبادة .ويأتي مزيد إيضاح لكلامهم إن شاء الله تعالى.

أسباب كفر المنافقين في غزوة تبوك

قال المصنف:ويقال أيضاً: الذين قال الله فيهم :﴿يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ ﴾]التوبة:74 [أما سمعت أن الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺيجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون، وكذلك الذين قال الله فيهم :﴿قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾]التوبة:65،66] فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺفي غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.

الجواب : 1. أما الآية الأولى فقال ابن جرير الطبري في تفسيره : حدثنا به ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه:(يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر)، قال: نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت، قال: "إن كان ما جاء به محمد حقاً، لنحن أشر من الحمر!"، فقال له ابن امرأ : والله، يا عدو الله، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت، فإني إن لا أفعل أخاف أن تصيبني قارعة، وأؤاخذ بخطيئتك ! فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الجلاس، فقال: "يا جلاس، أقلت كذا وكذا؟ فحلف ما قال، فأنزل الله تبارك وتعالى:(يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله).أنتهى وبه نعلم أن كلمته من الكفر الصريح.فهي ردة . فكيف تنزّل هذه الآية على المسلمين الذين لم يفعلوا كفراً أصلاً؟!وراجع تفسير الطبري وغيره لهذه الآية في سورة التوبة.

2. وأما الآية الثانية : فقال ابن عمر وقتادة وزيد بن أسلم ومحمد بن كعب : قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك : ما رأيت مثل (قرائنا) هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء،يعني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه،فقال له عوف بن مالك : كذبت ولكنك منافق،لأخبرن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فذهب عوف إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليخبره فوجد القرآن قد سبقه. أنتهى بتمامه كما في تفسير سورة التوبةلآية 65.

وبه يتبين لكل عاقل أن الآيات تنص على عمل لا يختلف المسلمون في تكفير فاعله ،فكيف يقاس أهل الإسلام ،على الناطق بالكفر الصريح مع الفرق الشاسع عقيدة وعملاً؟!

خبر ذات أنواط

قال لمصنف:ومن الدليل على ذلك أيضاً حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى :﴿اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾]الأعراف:138[، وقول ناسٍ من الصحابة } :اجعل لنا ذات أنواط { فحلف ﷺأن هذا نظير قول بني إسرائيل اجعل لنا إلهاً .

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة وهي أنهم يقولون: فإن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا } :اجعل لنا ذات أنواط { لم يكفروا .

الجواب: 1. واين طلب المسلمون في عصر الشيخ أو في عصرنا اتخاذ إلهاً غير الله جل جلاله ؟!بل هم كافرون بكل ما يعبد من دون الله .وقد تقدم بيان ذلك جلياً فالقياس باطل أصلاً .لأن الناس في عصره مقرون بالله وأن لايعبد غيره ،ولم يعتقدوا في سواه ولا عبدوا إلا إياه .وقد تبّين أن منشأ القياس هو تصور أن عمل المسلمين في عصره إلى عصرنا الحاضر من الشرك

الأكبر. وقد بيّنت أنه ليس بشرك لا في حقيقته ولا حتى في صورته إذا تنبهنا للقرائن الدالة على سلامته من الكفر بالله تعالى .

ولا شك أن قوم موسى وغيرهم من البشر لو عبدوا آلهة غير الله لكانوا مشركين ،فلا مجال لإنكار ذلك ولله الحمد .غاية ما يقول العاقل: أن المسلمين من عصر الشيخ إلى عصرنا لم يعبدوا غير الله ،ولذا فإشغال الناس بفتنة التكفير لا وجه له ، وإنما هو من نزغ الشيطان والعياذ بالله.وللفائدة فإليكم تفسير الآية التي ذكرها المصنف . قال ابن جرير في تفسيره : القول في تأويل قوله : { وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون }

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وقطعنا ببني إسرائيل البحر بعد الآيات التي أريناهموها، والعبر التي عاينوها على يدي نبي الله موسى، فلم تزجرهم تلك الآيات، ولم تعظهم تلك العبر والبينات! حتى قالوا : مع معاينتهم من الحجج ما يحق أن يذكر معها البهائم، إذ مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، يقول: يقومون على مثل لهم يعبدونها من دون الله "اجعل لنا" يا موسى "إلها"، يقول: مثالاً نعبده وصنماً نتخذه إلهاً، كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها. أنتهى كلام ابن جرير .

قال المؤلف:ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنهافتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل التوحيد فهمناه أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان .

الجواب: الإنسان يكون على حالين :

الحال الأول :أن يكون حديث عهد بكفر كمن ينشأ في كنف أبوين كافرين أو في بلاد كفرية ثم يسلم ،فهذا لا بد أن يعلم التوحيد المنجي من الشرك

ويبين له الفرق بين الإسلام والشرك .وهذا ما فعله ﷺوهذا الذي قد تلتبس عليه الأمور .ومن تأمل وجد أن من طلبوا أن يجعل لهم ذات أنواط فإنما لأنهم قوم حدثاء عهد بكفر كما ذكر ذلك أبو واقد الليثي رضي الله عنه وهذا سر جهلهم بالتوحيد ،لأنهم حدثاء عهد بأعمال الشرك واعتقاداته ولم ترسخ مفاهيم التوحيد في أذهانهم.

الحال الثاني: من ينشأ في كنف أهل التوحيد في بلاد ينتشر فيها العلم: فالأصل أنه على فطرة الإسلام ولا يشوب فطرته شائب.فإذا كان هذا في عامة المسلمين فكيف بالعلماء ؟!وقد نشأ الناس على الإسلام أكثر من أثني عشر قرناً فكيف يتهمون في إسلامهم ومعتقدهم .مع أن التعلم لا بد منه لحفظ الدين ولكن المشكلة في اتهام الشيخ للناس بأنهم لا يعلمون الشرك وخص منهم العلماء ،فإذا كان العلماء لا يستطيعون الثبات على إسلامهم فكيف بالعامة؟!!وعلى كل فإذا كان تعليم الناس هو على التوحيد الصحيح الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فهذا حق بلا ريب. واما إذا كان الهدف من دراسة التوحيد هو التركيز على كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي يكفّر فيها المسلمين ،ويصور المسائل تصويراً خاطئاً فهذا والله مما لا تبرأ به الذمة ،ولا تقوم به حجة بل هو وبال على صاحبه .ولا يصلح التقليد في اتباع الأخطاء والزلات .

مراد العلماء من الاحتجاج بشهادة التوحيد

قال المصنف:وللمشركين شبهة أخرى يقولون: إن النبي ﷺأنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله، وقال له } :أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟{ وكذلك قوله(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)، وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل.

لا ليس ذلك مرادهم ،بل إنما هم يريدون أن يكف عن من لم يأت بنواقضها. وتصور الشيخ أن الاستغاثة السببية من نواقض التوحيد تصور باطل

قد بينته في الصفحات السابقة .وهذا سر إصرار العلماء على تخطئة الشيخ في ذلك.

سبب مقاتلة النبيﷺلليهود

قال المؤلف:فيقال لهؤلاء الجهلة: معلوم أن رسول اللهﷺقاتل اليهود وسباهم وهو يقولون: لا إله إلا الله، وأن أصحاب رسول الله ﷺقاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم على بن أبي طالب بالنار.

أتى الشيخ بمسائل يتصور أنه على الحق فيها وأقول والله المستعان :

1. أما قول المصنف معلوم أن رسول الله ﷺقاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلا الله فجوابه : أنه قاتلهم لأسباب منها :

السبب الأول : أنهم يشركون بالله تعالى غير موحدين فيعبدون عزيراً عليه السلام ،ويجعلونه شريكاً لله ويدّعون أنه ولد لله ،وليسوا من أهل لا إله إلا الله كما يقول المصنف. كما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً ((قال ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب فيقال لليهود ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزيراً ابن الله فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون قالوا نريد أن تسقينا فيقال اشربوا فيتساقطون في جهنم))

السبب الثاني : أنهم كافرون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومكذبون له.

السبب الثالث : أنهم قوم غدروا وخانوا المواثيق .

2. أما قول المصنف : وأن أصحاب رسول الله ﷺقاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون ...إلخ)

فجوابه: أنهم قوم كافرون جحدوا خاتمية الرسول صلى الله عليه وسلم وزعموا أن مسيلمة نبي كما أن محمداً صلى الله عليه وسلم نبي، فهل يشك مسلم في كفرهم ؟!ولا مقارنة بينهم وبين المسلمين الذين كفّرهم الشيخ في عصره لا من حيث وصف فعلهم ولا من حيث أشخاصهم فهؤلاء من أهل القبلة قولاً وعملاً واعتقاداً بخلاف بني حنيفة .

3. وأما قول المصنف: وكذلك الذين حرقهم على بن أبي طالب بالنار.

فأقول هم منافقون و رأسهم عبدالله بن سبأ اليهودي أدعوا أن علياً رب معبود .فهل يشك عاقل في كفرهم ؟! قال أبو حاتم الرازي (ت 322هـ) في كتابه "الزينة في الكلمات الإسلامية": أن عبد الله بن سبأ و من قال بقوله من السبئية كانوا يزعمون أن علياً هو الإله ، و أنه يحيي الموتى ، وادعوا غيبته بعد موته)أنتهى فتأمل . فمن أدعى من المسلمين في عصر المصنف أو بعده أن الأنبياء أو الأولياء آلهة أو نحو ذلك؟!فلا مقارنة أصلاً.

وبعد أن ساق المصنف جوابه على حجج العلماء في عصره حيث ضربوا له أمثلة على جواز الاستغاثة ومنها :الاستغاثة بالأنبياء في يوم المحشر في ذلك الكرب العظيم .

ومنها : أن جبريل عرض على إبراهيم إغاثته من النار ولو كان ذلك شركاً ما فعله جبريل.

وكان جواب المصنف على ذلك: أن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ينكرها، وإنما ينكر الاستغاثة بالأموات ويحكم بأنه من الشرك الأكبر .!!.

فهو يفرق بين الاستغاثة بالحي والاستغاثة بالميت فيجعل الأولى جائزة والثانية شركاً أكبر.وهو يفرق بين الاستغاثة بمن يقدر ومن لايقدر وهوالميت فيجعل الثانية شركاً أكبر .

ولا شك في غلطه وقد بينت ذلك سابقاً ،فإن الميت مجرد سبب في نظرهم وهم لا يستغيثون به بقصد عبادته ،كما أن الحي مجرد سبب فقط ولا يستغيثون به بقصد عبادته فيجمع بينهما السببية مع اعتقاد أن النفع والضر بيد الله وحده لا شريك له من حي ولا ميت ،وأن فعلهم ليس عبادة للحي ولا للميت.

وأما القدرة: فإنَّ عجز الميت أو الحي عن الإغاثة لا يجعل الأمر شركاً ،وغاية ما فيه أن هذا هو شأن الأسباب، فقد تنفع ولا يكون ذلك إلا بإذن الله ،وقد لا تنفع وذلك بإذن الله فهو النافع الضار حقيقة . وهذا مراد العلماء بضرب تلك الأمثال التي لم يقبلها المصنف .ولم يأتي بجواب مقبول .إلا مارآه من العادة الحسية فيماعلمه ببصره أو سمعه أوسائر حواسه من نفع الأسباب الظاهرة ،مع أن الأسباب ليست قاصرة على الأسباب الحسية ،والأرواح لها شأن أخر .بل أقول حتى ولو كانت الاستغاثة بالميت لن تنفع ،فغاية ما فيها أنهم تعاطوا سبباً لا ينفعهم ولا مدخلية للكفر فيه لو أنصف الناس بعضهم البعض .وقد ضربت مثلاً بغريق يستغيث بعاجز تمام العجز مع علمه بذلك فهل يكون ذلك من الشرك؟ والجواب معلوم أنه لا يكون. فلماذا الإصرار على تكفير المسلمين أو الحكم بأن أفعالهم كفرية ؟

شبهة التعلق بما ورد في الإقناع

يتعلق البعض بما وجده في كتاب كشاف القناع من قول نقله الحجاوي عن ابن تيمية وهذا نصه :(وقال أو جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم

ويدعوهم ويسألهم إجماعاً انتهى) أي كفر لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام.
أنتهى كلام البهوتي من باب الردة .

الجواب: تضمن النقل عدة قرائن تبين المراد بإذن الله :

أولها : قوله إجماعاً . ثانياً : قوله :كفعل عابدي الأصنام .

فإنزال هذا الكلام على الاستغاثة السببية بعيد لأننا نعلم يقيناً أن تعاطي الأسباب ناشيء عن الاقتناع .فإن من يذهب إلى وظيفة يطلب رزق الله لابد أن يكون معتقداً سببية هذه الوظيفة في تحصيل الرزق الذي قدره الله له ،وكذا المتعاطي للدواء يعتقد في أن الدواء يجلب النفع ويدفع الضر بإذن الله تعالى أي من باب السببية والشافي حقيقة هو الله تعالى .ومن يستغيث بالطبيب لإنقاذ حياته يعتقد بلا ريب أنه سبب لشفائه فهو واسطة فقط لجلب منفعة ودفع مضرة وليس هو الشافي ولا المنقذ حقيقة بل هو واسطة سببية للعبد في تحصيل المطلوب وليس واسطة لله في إيجاد النفع ،والفرق عظيم بين الأمرين لمن تدبر .

فهناك فرق بين ثلاثة أشياء:

الأولى :اعتقاد وتعاطي واسطة سببية للعبد كسائر الأسباب . فهذه جائزة .

الثانية : اعتقاد وسائط لا يفعل الله إلا بها . فهذا باطل بلاريب .

الثالثة :اعتقاد وسائط مربوبة معبودة بين العبد وربه فهذه الحالة التي ينزل عليها كلام ابن تيمية ونقل الحجاوي له بدليلين :

الأول : أن هذه الحالة هي التي عليها إجماع المسلمين .

الثاني: قول البهوتي : لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام.ومعلوم أن عابدي الأصنام يعتقدون فيها الندية والتسوية بالله تعالى ويعتقدون عبادتها كشركاء لله تعالى كما قال جل جلاله عنهم ((تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين))وقوله ((ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله)) .والكاف في قوله((كحب))هي كاف التسوية أي مساوياً في المحبة بين الخالق ومعبوداتهم.

الثالث :أن تعاطي الأسباب والاعتقاد فيها جائز من باب السببية لا الخلق والإيجاد.فلا وجه لجعلها من الشرك المخرج من الملة حتى ولو كانت أسباباً ضعيفة ،أوغير قادرة فإنها مجرد أسباب ،والأمر لله وحده .

وقد بيّنت ذلك سابقاً في ثنايا الرد بما يكفي.

فقه النصوص التي يستدلون بها على تكفير مخالفهم

استدل المكفرون للمستغين بأدلة نزلت في كفار قريش فأنزلوها على المسلمين ممن يعتبرونهم مشركين بناء على ما سبق نقاشه وسوف أورد أدلتهم وأقوال أئمة التفسير فيها بما يزيل اللبس إن شاء الله تعالى :

قال تعالى (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ) ، وقال تعالى (وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُك ولا يَضُرُّك فَإِنْ فَعَلْت فَإِنَّك إذًا مِنْ الظَّالِمِينَ . وَإِنْ يَمْسَسْك اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْك بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

وَبِمَا رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ (كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ لا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاَللَّهِ.

الرد على ذلك :

قوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا) قال الإمام ابن جرير في تفسير سورة الجن: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله:(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه أن يوحد الله وحده.

وقال الإمام القرطبي في تفسيره: قوله تعالى: (فلا تدعوا مع الله أحدا) هذا توبيخ للمشركين في دعائهم مع الله غيره في المسجد الحرام.
وقال مجاهد: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه والمؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد كلها.**يقول: فلا تشركوا فيها صنماً وغيره.**أنتهى من تفسيره

وقوله تعالى ((وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً)) ساق ابن جرير بسنده إلى ابن عباس أن ابن عباس، قال: قول الجن لقومهم:(لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) قال: لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، قال: عجبوا من طواعية أصحابه له،قال: فقال لقومهم لما قام عبد الله يدعوه(كادوا يكونون عليه لبدا).أنتهى فالمراد بالدعاء هنا هو الصلاة.

وساق بسنده عن عكرمة : يقول: وأنه لما قام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله يقول: " لا إله إلا الله"(كادوا يكونون عليه لبدا). أنتهى

إذن فالدعاء هنا هو الدعاء إلى توحيد الله ونبذ كل معبود سواه.وقال الإمام القرطبي في تفسيره: و " عبد الله " هنا محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرأ القرآن، حسب ما تقدم أول السورة." يدعوه " أي يعبده.

وقال ابن جريج: " يدعوه " أي قام إليهم داعياً إلى الله تعالى.أنتهى من تفسير القرطبي.

((قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) قال ابن جرير:يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركي العرب الذين ردوا عليك ما جئتهم به من النصيحة: إني لا أملك لكم ضراً في دينكم ولا في دنياكم، ولا رشداً أرشدكم، لأن الذي يملك ذلك، الله الذي له ملك كل شيء.

وقال : (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال)قال ابن جرير وإنما عنى بالدعوة الحق، توحيد الله وشهادة أن لا إله إلا الله .ورواه عن ابن عباس وغيره.

وقال أيضاً: وقوله:(والذين يدعون من دونه) يقول تعالى ذكره: والآلهة التي يدعونها المشركون أربابا وآلهة .وقوله(من دونه) يقول: من دون الله.وإنما عنى بقوله:(من دونه) الآلهة أنها مقصرة عنه، وأنها لا تكون إلها، ولا يجوز أن يكون إلها إلا الله الواحد القهار. أنتهى

وقال أيضاً:(وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) هذا مثل ضربه الله ؛ أي هذا الذي يدعو من دون الله هذا الوثن وهذا الحجر لا يستجيب له بشيء أبدا ولا يسوق إليه خيرا ولا يدفع عنه سوءا حتى يأتيه الموت، كمثل هذا الذي بسط

ذارعيه إلى الماء ليبلغ فاه ولا يبلغ فاه ولا يصل إليه ذلك حتى يموت عطشاً
.

((واتل عليهم نبأ إبراهيم (69) إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون (70) قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين (71) قال هل يسمعونكم إذ تدعون (72) أو ينفعونكم أو يضرون (73) قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون (74)))

وقال تعالى : { إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين } قوله تعالى: (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) حاجهم في عبادة الأصنام.
قال الإمام القرطبي:" تدعون " تعبدون.وقيل: تدعونها آلهة." من دون الله " أي من غير الله.وسميت الأوثان عبادا لأنها مملوكة لله مسخرة.قال الحسن: المعنى أن الأصنام مخلوقة أمثالكم.
ولما اعتقد المشركون أن الأصنام تضر وتنفع أجراها مجرى الناس فقال: (فادعوهم) ولم يقل فادعوهن.وقال: " عباد "، وقال: " إن الذين " ولم يقل إن التي.ومعنى " فادعوهم " أي فاطلبوا منهم النفع والضر.قال ابن عباس: معنى فادعوهم فاعبدوهم.
ثم وبخهم الله تعالى وسفه عقولهم فقال: " ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها " الآية.أي أنتم أفضل منهم فكيف تعبدونهم. وقرأ سعيد بن جبير: " إن الذين تدعون من دون الله عباد ا أمثالكم " ..والمعنى: ما الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم، أي هي حجارة وخشب، فأنتم تعبدون ما أنتم أشرف منه.انتهى من تفسير القرطبي لسورة الأعراف آية 191فمابعدها.

وأما حديث **((إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله))**فهو حديث ضعيف ،ولكن على تقدير ثبوته فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان حاضراً لا غائباً وكان قادراً لا عاجزاً ،والشيخ ابن عبدالوهاب ومن تبعه يجيزون الا ستغاثة بالحاضر القادر فلا وجه للأستدلال بالحديث على ما يريدون .

فإذا علمت أقوال المفسرين في الآيات التي يستدل بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن قلده من المشايخ، **فاعلم يا أخي الكريم أن كل ما ذكر من صور النهي عن دعاء غير الله تعالى فإن له احتمالين :**

الاحتمال الأول :يحتمل أن يكون ذلك نهي مطلق وعلى هذا فلا يجوز أن يستغاث بأحد لا بحي ،ولا بميت، ولا حاضر، ولا بغائب ،ولا بقادر ،ولا بغير قادر إلا الله تعالى. لأنه إذا كان من الشرك الأكبر المخرج من الملة فإنه لا يجوز بأحد أبداً ولا يجوز إلا بالله وحده جل جلاله.

الاحتمال الثاني: أن لا يكون نهياً مطلقاً وإنما النهي عن دعاء يقصد به العبادة فقط لا النهي عن تعاطي الأسباب ،ولا شك قطعاً أن هذا هو المتعين ،ولذا فإن أقوال المفسرين بما فيهم سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما وغيره تدور حول هذا المعنى .**وبناء على ذلك فإنما النهي عن دعاء غير الله دعاء يقصد به التعبد.**

وعليه فإن المسألة التي يدور حولها النقاش لا يجوز إقحامها في الشرك الأكبر لأن عباد الله المسلمين المستغيثين بالأنبياء والأولياء لا يعبدونهم ،ولا يقصدون بنداء الأنبياء والأولياء عبادتهم ،وإنما مقصودهم بذلك كونهم أسباباً لا تملك النفع والضر إلا على وفق السببية لا التملك ،فإن مالك النفع والضر هو الله وحده جل جلاله .وإنما نفعهم نفع سببي فقط .

فإذا علمنا أنها من باب السببية فقط ،وعلمنا الفرق بين الدعاء بنية العبادة للمدعو والدعاء بنية كونه سبباً لا بنية التعبد للمدعو، فيبقى البحث محصور في حكم فقهي يتركز حول جواز تعاطي هذا السبب ولم تبقى أي مدخلية للشرك الأكبر لا بوصفه ولا بالحكم به على من تعاطى السبب وهو ما يسمى تكفير المعين.

وأقول وبكل وضوح أن مسألة الاستغاثة بالأموات مسألة فقهية اجتهادية لا وجه للتشديد فيها على المخالف وقد دارت الأقوال فيها بين التحريم ،والكراهة ،والجواز .

وسأذكر أدلة المجيزين باختصار وإن كان البحث في جوازها ليس مدار بحثي وإنما مدار بحثي هو تصوير المسألة تصويراً صحيحاً ،والرد على من جعلها من مسائل الشرك المخرج من الملة ،وفي ذلك بيان للحق ونصرة للمظلوم ،وحقن لدماء المسلمين ،ومحاولة إغلاق لباب من أبواب الفرقة والتشدد،وفتح لباب التآلف والرحمة ونبذ التعصب.

الاستغاثة بالأنبياء والأولياء :

وهذا مبني على سماع الموتى للأحياء وأنهم أحياء حياة برزخية وسوف أذكر أدلة من قال بذلك وأقدم بكلام عن حياة أهل القبور .

حياة أهل القبور

ينكر أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب سماع الأموات للأحياء واستدلوا ببعض الآيات كقوله تعالى {وما يستوي الأعمى والبصير (19) ولا الظلمات ولا النور (20) ولا الظل ولا الحرور (21) وما يستوي الأحياء ولا الأموات

إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور (22) إن أنت إلا نذير (23)}

الجواب: أن المقصود في الآيات هو سمع الهداية والاستجابة وليس السمع الحسي لأن السمع الحسي ثابت بأدلة كثيرة ستأتي بإذن الله تعالى ولذا قال ابن جرير في تفسيره:يقول تعالى ذكره:(وما يستوي الأعمى) عن دين الله الذي ابتعث به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم(والبصير) الذي قد أبصر فيه رشده؛ فاتبع محمداً وصدقه، وقبل عن الله ما ابتعثه به(ولا الظلمات) يقول: وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان(ولا الظل) قيل: ولا الجنة(ولا الحرور) قيل: النار، كأن معناه عندهم: وما تستوي الجنة والنار، والحرور بمنزلة السموم، وهي الرياح الحارة.

وقوله(وما يستوي الأحياء ولا الأموات) يقول: وما يستوي الأحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله، ومعرفة تنزيل الله، والأموات القلوب لغلبة الكفر عليها، حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه، ولا تعرف الهدى من الضلال، **وكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان، والكافر والكفر**.وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.ثم أسنده عن عدد من الصحابة والتابعين.أنتهى من تفسير الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى.

فإذن ليس في الآية ما يستدل به على أن أهل البرزخ لا يسمعون أهل الدنيا لأن الآية مُنصبة على معنى أخر وهو موت القلوب بالكفر والعياذ بالله.

وقال ابن جرير:في تفسير قوله تعالى (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس) قال: الهدى الذي هداه الله به ونور له، هذا مثل ضربه الله لهذا المؤمن الذي يبصر دينه، وهذا الكافر الأعمى فجعل المؤمن حيا

وجعل الكافر ميتا ميت القلب(أومن كان ميتا فأحييناه) قال: هديناه إلى الإسلام كمن مثله في الظلمات أعمى القلب وهو في الظلمات، أهذا وهذا سواء؟.أنتهى من تفسير شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري.

وقال ابن كثير: وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، كقوله تعالى: { أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها }. أنتهى وقال: وقوله: {إن الله يسمع من يشاء } أي: يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها { وما أنت بمسمع من في القبور} أي:**كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم، وهم كفار بالهداية والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم، ولا تستطيع هدايتهم**.أنتهى كلام ابن كثير بحروفه.فالمقصود هو سمع الهداية لا السمع الحسي .

الأدلة الدالة على أن الأموات يسمعون سمعاً حسياً :

مع استحضار القاعدة الأصولية العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .ثم إننا نؤمن أن الإنسان ينتقل من حياة الدنيا إلى حياة أخرى تسمى الحياة البرزخية وليس فناءً تاماً وهذا متفق عليه بين المسلمين.

فلا وجه بعد ذلك لدفع الأحاديث والنصوص لكون العقول القاصرة لا تتصور غير المألوف الحسي .

قال تعالى في الشهداء{ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ } [سورة البقرة : **154**]{ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون } [سورة آل عمران : **169**وإن الأنبياء ، وكثيرًا من صالحي المسلمين الذين ليسوا بشهداءَ كأكابر الصحابة ، أفضل

من الشهداء بلا شك ولا مرية ، فإذا ثبتت الحياة للشهداء فثبوتها لمن هو أفضل منهم أولى. على أن حياة الأنبياء مصرّح بها في الأحاديث الثابتة.

2. ومن الأدلة قوله تعالى { وَلَوْ أَنَّهم إذْ ظَلَمُوا أنْفُسَهم جَاءُوك فاسْتغفَرُوا الله واسْتَغْفرَ لهُمُ الرسول لَوَجَدُوا الله تَوَّاباً رَحِيماً } . قال الشيخ ممدوح:لأن " إذ" كما تستعمل في الماضي فتستعمل في المستقبل أيضاً ، ولها معان أخرى ذكرها ابن هشام في مغني اللبيب (1 / 80 _ 83) . وقد نص على أنَّ "إذ" تستعمل للمستقبل: الأزهري فقال في تهذيب اللغة (15 / 47) : العرب تضع "إذ" للمستقبل و "إذا" للماضي قال الله عز وجل : {{ وَلَوَ تَرَى إِذْ فزعوا }} (سورة سبأ آية رقم 51) .ومن استعمال إذ للمستقبل قوله تعالى: {ولو ترى إذ وُقِفُوا عَلَى النَّار } (الأنعام الآية 27) .{ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم } (الأنعام الآية 30) .

{ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات } (الأنعام الآية 93) أنتهى كلامه ونقله.

1. روى الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : وقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على قليب بدر فقال :هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ ثم قال: أنهم الآن يسمعون ما أقول.

2. وفي رواية في الصحيح (البخاري) : أن النبي صلى الله عليه واله وسلم جعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان ، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ فأنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فقال عمر : يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : والذي نفس محمد بيده ماأنتم بأسمع لما أقول منهم .

3. عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام) رواه الحاكم في المستدرك (2 421) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الحافظ الذهبي ، وفي فيض القدير (2(479) :رواه أحمد في المسند والنسائي وابن حبان والحاكم ، قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، وقال الحافظ العراقي : الحديث متفق عليه دون قوله سياحين.

4. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أرد عليه السلام) رواه أبو داود وغيره وصححه النووي في رياض الصالحين وفي الأذكار ، وقال الحافظ ابن حجر : رجاله ثقات ، كما في فيض القدير .

وقال الإمام السخاوي – يرحمه الله – بعد سرده الأدلة على عرض الأعمال عليه صلى الله عليه وسلم من صلاة و غيرها ما نصه:

السادسة : يؤخذ من هذه الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم حي على الدوام وذلك أنه محال عادة أن يخلو الوجود كله من واحد يسلم عليه في ليل أونهار ، ونحن نؤمن و نصدق بأنه صلى الله عليه وسلم حي يرزق في قبره ، وإن جسده الشريف لا تأكله الأرض و الإجماع على هذا ، وزاد بعض العلماء ، الشهداء و المؤذنين، وقد صح أنه كشف عن غير واحد من العلماء و الشهداء فوجدوهم لم تتغير أجسامهم والأنبياء أفضل من الشهداء جزماً.

5. عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلن عيسى بن مريم غماماً مقسطا وحكماً عدلاً ،فليكسرن الصليب و يقتلن الخنزير و ليصلحن ذات البين و ليذهبن الشحناء و ليعرضن المال فلا يقبله أحد ، ثم لئن قام على

قبري فقال يا محمد لأجبته)) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (211/8) : (هو في الصحيح باختصار رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح).

6. في حديث أبي هريرة والسيدة عائشة وبريدة واللفظ له عند مسلم وغيره كما في تلخيص الحبير (2 / 137 (: أن النبي صلى الله عليه واله وسلم كان يقول إذا ذهب إلى المقابر : (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ،وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أسال الله لناولكم العافية.) يقول الإمام ابن القيم:قال: (فإن السلام على من لا يشعر ولايعلم بالمسلم محال، وقد علم النبي (صلى الله عليه وسلم) أمته إذا زاروا القبور أن يقولوا: سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية) وهذا السلام والخطاب والنداء الموجود يسمع، ويخاطب، ويعقل، ويرد،وإن لم يسمع المسلم الرد، وإذا صلى قريبا منهم شاهدوه، وعلموا صلاته، وغبطوه على ذلك) انتهى كلام ابن القيم كما في كتابه الروح.

7. قال الحافظ السيوطي (الحاوي 421/2): روى الحافظ ابن عبد البر في الاستذكار و التمهيد من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله : ((مامن أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلِّم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام)) صححه الحافظ أبو محمد بن عبد الحق الأشبيلي. (وهو إمام في العلل ومعرفة الحديث كما في تذكرة الحفاظ للذهبي)(و أشار إلى صحة الحديث صاحب "عون المعبود " (370/3)

8ومنها حديث الرجل الذي ضرب خباءه ليلاًعلى قبر فسمع من القبر قراءة (تبارك الذي بيده الملك) إلى آخرها ، فلما أصبح ذكرذلك لرسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال (هي المانعة هي المنجية) . أخرجه الترمذي (280) وحسنه السيوطي.

9. ((حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، ووفاتي خير لكم تعرض على أعمالكم ، فما رأيت من خير حمدت الله عليه ، وما رأيت من شر استغفرت لكم)) .قال الحافظ العراقي في (طرح التثريب) (3 / 297) : إسناده جيد.وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (24/9) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح . اهـ .وصححه السيوطي في الخصائص (2 / 281) ، وفي تخريج الشفا. أنتهى

بعد أن علمنا ادلتهم في حياة الأموات حياة برزخية فإليك أدلتهم في جواز الاستغاثة :

نقلتها باختصار من كتاب رفع المنارة للشيخ محمود سعيد ممدوح فكل ماتراه من تعليق وعزو ونحوه فهو للشيخ ممدوح وليس لي إلا النقل مختصراً لأن مرادي أن يعلم القارىء أدلتهم فقط.ومن أراد التوسع فليراجع كتاب رفع المنارة ،وهو أيضاً موجود على شبكة النت .ففيه ردود كافية على كل إيراد إلى عصرنا هذا أورده المعارضون لجواز الاستغاثة.وهناك كتب أخرى كثيرة.

1. عن عثمان بن حنيف: " أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى اله عليه وسلم فقال: ادع الله أن يعافيني قال: (إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك) قال: فادعه، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتُقضى لِي اللهم فشفعه في) رواه الحاكم في المستدرك (1 / 313 ، 519) وصححه ووافقه الذهبي قال الترمذي (كما في التحفة):هذا حديث حسن

صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي .[١٦]
وقد جاءت زيادة موقوفة عن المرفوع .

حيث ساق الطبراني في المعجم الصغير (1 / 184) بسنده إلى :أبي أمامة ابن سهل ابن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف :أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته [١٧] ، فلقى عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه ، فقال له عثمان بن حنيف اءت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل : ((اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك (ربي) جل وعز فيقضي لي حاجتي . وتذكر حاجتك. ورح إليّ حتى أروح معك. فانطلق الرجل فصنع ما قاله عثمان ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخ ذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة وقال : حاجتك ؟ فذكر

حاجته فقضاها له ثم قال له (أمير المؤمنين رضي الله عنه) : ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة ، وقال: ما كانت لك من حاجة فأتنا. ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف ، فقال له : جزاك الله خيراً ، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلى حتى كلمته في .! فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال له النبي : (أفتصبر ؟)، فقال: يا رسول الله إنه لي قائد وقد شق علي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ((ايت الميضأة فتوضأ ، ثم صل ركعتين ، ثم ادع بهذه الدعوات)) . قال عثمان ابن حنيف : فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط . لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي وهو ثقة، وهو الذي يحدث عنه أحمد (ابن أحمد) بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الأبلي .

---

[١٦] **ورواه ايضاًابن خزيمة في صحيحه ، والترمذي (تحفة 10 / 132 ، 133)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص 417) ، وابن ماجة في السنن (1 / 441) والبخاري في التاريخ الكبير (6 / 210) . والطبراني في المعجم الكبير (9 /19) ، وفي الدعاء أيضاً (2 / 1289) والبيهقي في دلائل النبوة (6 / 166) ، وفي الدعوات الكبير .**

[١٧] **لا نشغاله رضي الله عنه بعبأ الخلافة التي توسعت في عهده.**

وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر لخطمي واسمه عمير ابن يزيد وهو ثقة تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة ، والحديث صحيح . اهـ .

وأخرجه من هذا الوجه الطبراني في الكبير (9/ 17) ، وفي الدعاء (1288/2) ، والبيهقي في دلائل النبوة (6 / 167 ـ 168) . فلا كلام بعد تصحيح الطبراني للحديث مرفوعً وموقوفاً .فإن قيل : قد صحح الطبراني الحديث المرفوع لكنه لم يصحح القصة الموقوفة .أجيب: بأن الطبراني قد وثق (شبيب بن سعيد الحبطي) وهو راوي الموقوف، وتوثيق حديث الرجل هو تصحيح لحديثه ، فالأمر سهل ولا يحتاج لبيان ، ويؤيد هذا ويوضحه أن الهيثمي في مجمع الزوائد (2 / 179) لم يتكلم على الحديث كما عهد عنه ولكنه اقتصر على نقل تصحيح الطبرني فقط ، فتدبر أيها المستبصر .

ساق ابن أبي خيثمة في تاريخه بالسند إلى عمارة بن خزيمة ، عن عثمان بن حنيف رضي الله تعالى عنه أن رجلاً أعمى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أصبت في بصري فادع الله لي قال : ((اذهب فتوضأ وصل ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألك واتوجه إليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد إني أستشفع بك على ربي في رد بصري ، اللهم فشفعني في نفسي وشفع نبيي في رد بصري ، وإن كانت حاجة فافعل مثل

ذلك)) . اهـ .قال الشيخ ممدوح و هذا سند غاية في الصحة .وحماد بن سلمة ، ثقة ، حافظ علم .أنتهى . باختصار .

2. قال الحافظ الدارمي في سننه (1/43 ـ 44) :

باب ما أكرم الله تعالى نبيه بعد موته :حدث أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال :

((قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة فقالت : انظروا إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كواً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال: ففعلوا ، فمطرنا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق)) .

هذا إسناد حسن أو صحيح ورجاله رجال مسلم ما خلا عمرو بن مالك النكري ، وهو ثقة . والله تعالى أعلم بالصواب .

3. قال ابن أبي شيبة في "المصنف" (12/31-32) :حدثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن مالك الدار ، قال : وكان خازن عمر على الطعام[18] ، قال:(أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتى الرجل في المنام فقيل له : (ائت عمر فاقرئه السلام وأخبره أنكم مسقيون ، وقل له : عليك الكيس، عليك الكيس) فأتى عمر فأخبره فبكى عمر ثم قال: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه .إسناده صحيح ، وقد صححه الحافظان ابن كثير في "البداية" (7/101) ، والحافظ ابن حجر في "الفتح " (2/495) وقال ابن كثير في جامع المسانيد – مسند عمر – (1/223) : إسناده جيد قوي . اهـ .[19]

أنتهى ما أردت نقله من بعض أدلة المجيزين للاستغاثة .

وبه نعلم أنهم ليسوا أصحاب هوى فضلاً عن رميهم بالخروج عن ملة الإسلام.!والرجوع إلى الحق فضيلة فنسأل الله للجميع الهداية والتوفيق .

وقفة للتأمل

قال تعالى((قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ومالهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له)) من سورةسبأ

إن الشرك يدور على ماذكر الله تعالى في هذه الآية كالتالي:

---

[18] يعني أمين مخازن الطعام .

[19] **وأخرجه من هذا الوجه ابن أبي خيثمة كما في "الإصابة" (3/ 484)، والبيهقي في "الدلائل" (7/ 47)) والخليلي في "الإرشاد" (1/ 313- 314) ، وابن عبد البر في "الاستيعاب" (2/ 464) .وقال الحافظ في "الفتح" (2/ 459) : وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة. اهـ . وقال الحافظ أبو يعلى الخليلي فقال في الإرشاد (1/ 313) : مالك الدار مولى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه تابعي قديم، متفق عليه ، أثنى عليه التابعون . اهـ .ووثقه ابن حبان في " الثقات " (5/ 384) . فمالك الدار مخضرم وثقة ، وقد استعمله كبار الصحابة.**

الحالة الأولى . أن يعتقد في شيء أنه مستقل بملك التصرف في شيء من الأمور .وهذا كمن يعتقد أن الأنواء هي التي تستقل بإنزال الغيث ،وكمن يعتقد أن المادة هي التي توجد الأشياء كما يعتقده الماديون الملاحدة ،وكما يعتقد الطبائعيون أن الطبيعة مستقلة بالتأثير والإيجاد ونحو ذلك.

الحالة الثانية . أن يعتقد أنها شريكة لله في شيء من التصرف والتدبير .

الحالة الثالثة . أن يعتقد أنها معاونة لله تعالى في تدبير أمر من الأمور تعالى الله عن ذلك .

الحالة الرابعة: أن يعتقد أنها شريكة لله في استحقاق العبادة من باب أنها تشفع له فيعبد الأصنام ونحوها لهذا السبب الناشيء عن اعتقاد التسوية والتشريك. فهو مشرك بالله تعالى كما حكى الله عنهم فقال جل جلاله {تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذا نسويكم برب العالمين} وحكى عنهم فقال تعالى{أجعل الآلهة إلهاً واحداً} فهو يعتقدون فيها هذا الاعتقاد أي اعتقاد الشراكة لله تعالى ،وأنها آلهة تعبد كما أن الله إلهاً يعبد .

فتحصّل من الحالة الرابعة ثلاث مسائل :

المسألة الأولى :أنهم اعتقدوا شراكة أربابهم لله تعالى في العبادة .

المسألة الثانية :انطلاقاً من الاعتقاد المذكور فإنهم عملوا أعمالاً ظاهرة مرتكزة

على اعتقاد التسوية بين آلهتهم المخترعة والإله الحقيقي في هذا الاستحقاق. بل قد يصرفون لمعبوداتهم من الأعمال القلبية والعملية مالا يصرفونه لله تعالى من خوف ،ورجاء ،ومحبة وكذلك سجود وطواف وغيره.

المسألة الثالثة :الدافع إلى تلك الأفعال هو اعتقادهم أنها تملك الشفاعة والتقريب إلى الله تعالى .وهذا باطل من جهات عديدة فمنها:

1. أن الله المالك وحده للشفاعة لا شريك له في ذلك ،ومعبوداتهم لا تملكها خلافاً لزعمهم .قال تعالى (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا)

2. أن الله منع الشفاعة عن معبوداتهم (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) وهؤلاء لا عهد لهم عند الله إلا عيسى عليه السلام،وعزير عليه السلام ونحوهما ،فلهم عهد عند الله .ولكن عبادتهم واعتقاد الوهيتهم شرك بالله تعالى.

3. أن الله لو أذن لهم في الشفاعة فلا يعني ذلك جواز اعتقاد صرف العبادة للمشّفع مهما بلغ من المنزلة عند الله ،والكفار اعتقدوا أنهم شركاء لله وعملوا على ضوء هذا الاعتقاد .

فلو تأملنا في حال المسلمين المستغيثين بالأنبياء والأولياء فنجد أنهم على نقيض كفار الجاهلية من وجوه عديده فمنها:

أولاً:أنهم لايعتقدون الشريك لله تعالى بل يعتقدون أن الله جل جلاله المالك لكل شيء وهو المستحق للعبادة وحده بلا شريك .وهذا خلافاً لمن يعتقد أن له شركاء في استحقاق العبادة أوأن غيره يملك الشفاعة .

ثانياً: انطلاقاً من هذا الاعتقاد فإنهم شرعوا في الأعمال على ضوء الأخذ بقانون السببية فقط .فتعاطوا الأسباب المشروعة والمباحة .

ثالثاً:يعتقدون أن الأنبياء والأولياء مأذون لهم في الشفاعة بالأدلة السابقة،كما أن الله أذن للمسلمين أن يشفعوا للميت في قبول عمله، ومغفرة ذنوبه ،وذلك

في صلاة الجنازة وغيرها من الأدعية .والأمر لله وحده إن شاء قبل الدعاء فضلاً منه ،وإن شاء لم يستجب عدلاً منه.وإنما هم يعملون بالأسباب فقط.

فالمستغيث يؤمل أن الله سيقبل شفاعتهم فيه فضلاً منه،لأنه يعتقد أنهم يسمعونه وأنهم في حياة برزخية ولم يفنوا فناءً،ولو من جهة الروح على الأقل.

وعلى كل تقدير فحتى لو لم يكن لهم شفاعة كما يقول الشيخ وغيره فليس في عمل المسلمين شرك أبداً لأنهم لم يعتقدوا وجود شريك لله ،ولا يعتقدون أن غيره يملك أمراً من الأمور استقلالاً لا الشفاعة ولا غيرها،ولا يعتقدون أن لله ظهير معاون من خلقه ،ولم يعبدوا غير الله وحده جل جلاله اعتقاداً وقولاً وعملاً.

ولا تخرج المسألة عن تعاطى الأسباب سواء أفادت بنفع أو كانت عبثاً على أبعد تقدير.فلا مسوغ للتكفير لا بالوصف ولا بالعين.

هل الاستغاثة بالأموات من الشرك الأصغر ؟

ليست من الشرك الأصغر .لأن الشرك الأصغر عرّفه أكثر العلماء في المذاهب بتعريف النبي صلى الله عليه وسلم لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد بيّن بالتعريف المنضبط ماهو حد الشرك بقسميه الأكبر والأصغر فقال .

((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)) قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟**قال ((الرياء)).فهو بيان في مقام الحاجة وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز .**

وسمي الرياء شركاً لأن متعلقه الإخلاص في العبادة ،لأن الإنسان إما أن يكون إخلاصه منتفياً إنتفاءكلياً بأن يجعل لله نداً وشريك يعبده فهذا هو الشرك الأكبر .

واما أن يعبد الله وحده لكنه يزين هذه العبادة لأجل الناس لسمعهم أو لنظرهم وهذا هو الشرك الأصغر .

والخلاصة :أن الشرك الأصغر في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم هو الرياء فقط كما في المذاهب الأربعة .

جاء في تفسير السيوطي : خرج ابن أبي الدنيا في الإخلاص وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقيِ عن شداد بن أوس قال [كنا نعد الرياء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هوالشرك الأصغر]470/5

ولهذا فمن الخطأ الأخذ بتعريف بعضهم للشرك الأصغر بغير تعريف النبي صلى الله عليه وسلم كمن يقول :الشرك الأصغرهو كل ما أطلق عليه اسم الشرك ولم يصل إلى الشرك الأكبر.أ. هـ ووجه الخطأ في هذا التعريف أنه تجاوز تعريف النبي صلى الله عليه وسلم بتعريف أوسع .بينما تعريف النبي صلى الله عليه وسلم أخص في اللفظ والمعنى فهو مقصور على شيء واحد وهو الرياء.

ومراد من وسع مفهوم الشرك الأصغر هو إدخال الحلف بغير الله ،والطيرة ،والتولة ونحوها في الشرك الأصغر .وهذا خطأ بلا شك .لأن للعلماء توجيه صائب لهذه النصوص لا يعارض الحصر الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم في تعريفه للشرك الأصغر في مقام البيان والإيضاح عند الحاجة .وإليكم ما يفيد في ذلك.

حكم الحلف بغير الله وحكم الطيرة والتمائم والتولة

إذا علمنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بين الشرك الأكبر ،والأصغر فماذا يقال في الأحاديث الأخرى كحديث ((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك))وحديث ((الطيرة شرك)) وحديث ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر))؟

هي تحمل عند العلماء من فقهاء الأمة في المذاهب الأربعة على أحد معنيين :

1. **أنه من باب التغليظ .**
2. **أن المقصود أنه شرك أكبر وذلك إذا أعتقد فيها الاستقلال والشراكة لله تعالى .**

فمسألة الحلف بغير الله وكذا الطيرة إن خلت عن نية واعتقاد كون المحلوف به يعظّم كتعظيم الله ،وخلت الطيرة ونحوها كالتولة وغير ذلك عن اعتقاد التأثير المستقل فهي مسألة فقهية اختلف العلماء فيها على أقوال تجدها في الفقه وليس مبحثها العقائد . وراجع في ذلك كتب الفقهاء في المذاهب الأربعة في باب الأيمان .وراجع شرح الأحاديث كشروح صحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي والتمهيد وغيرها من كتب التي عنت بشرح الأحاديث وكذا راجع كتب التفسير عند قوله تعالى ((قل طائركم عند الله))

وسوف أسوق لكم ماقال الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى بتمامه وهو كلام طويل مفيد حيث قال:خرج الترمذي من وجه آخر عن أنه سمع رجلاً يقول لا والكعبة .فقال: لا تحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك))قال الترمذي حسن وصححه الحاكم والتعبير بقوله فقد كفر أو

أشرك للمبالغة في الزجر والتغليظ في ذلك وقد تمسك به من قال بتحريم ذلك.

قوله ((من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)) قال العلماء: السر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده ،وظاهر ثم تخصيص الحلف بالله خاصة .لكن قد اتفق الفقهاء على أن اليمين تنعقد بالله وذاته، وصفاته العلية .واختلفوا في انعقادها ببعض الصفات كما سبق وكأن المراد بقوله بالله الذات لا خصوص لفظ الله، وأما اليمين بغير ذلك فقد ثبت المنع فيها وهل المنع للتحريم ؟

قولان عند المالكية كذا قال بن دقيق العيد والمشهور عندهم الكراهة. والخلاف أيضا عند الحنابلة لكن المشهور عندهم التحريم، وبه جزم الظاهرية. وقال بن عبد البر: لا يجوزالحلف بغير الله بالإجماع ومراده بنفي الجواز الكراهة أعم من التحريم والتنزيه ،فإنه قال في موضع آخر أجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروهة منهي عنها لا يجوز لأحد الحلف بها والخلاف موجود عند الشافعية من أجل قول الشافعي أخشى أن يكون الحلف بغير الله معصية فأشعر بالتردد وجمهورأصحابه على أنه للتنزيه وقال إمام الحرمين المذهب القطع بالكراهة وجزم غيره بالتفصيل فإن اعتقد في المحلوف فيه من التعظيم ما يعتقده في الله حرم الحلف به وكان بذلك الاعتقاد كافراً وعليه يتنزل الحديث المذكور ،وأما إذا حلف بغير الله لاعتقاده تعظيم المحلوف به على ما يليق به من التعظيم فلا يكفر بذلك ولا تنعقد يمينه. أنتهى من فتح الباري 11/ 531

فتلخص من كلامه رحمه الله عدة أحكام على التفصيل :

1. إن اعتقد تعظيم المحلوف به كتعظيم الله فهو كافر كفراً أكبر. (الكاف للتسوية والتشريك)

2. إن حلف بغير الله على غير نية التعظيم المساوي لتعظيم الله فتقدم فيه ذكر الحكم في المذاهب الفقهية الأربعة لأنها حينئذ مسألة فقهية، ومعتمد الحنابلة الذي ينتمي لهم المؤلف وأتباعه هو التحريم وليس بكبيرة .

3. إذا حلف بغير الله لاعتقاده تعظيم المحلوف به على ما يليق به من التعظيم فلا يكفر بذلك ولا تنعقد يمينه . (كالحلف بالنبي والمصحف والكعبة)

لكنه منهي عنه عند الجمهور.

الخاتمة

في خاتمة هذا المكتوب أحب ان أوضح أن المطلوب ليس وجود البدع كالطواف بالقبور وبناء المساجد عليها ،ونحو ذلك مما جاء الشرع بالنهي عنه أو مما لايقاس على المشروع . وإنما المطلوب أن نعطي المسألة حجمها الشرعي الصحيح بلا مبالغات ولا تساهلات .فلا يجعل المحرم شركاً فضلاً عن المكروه والمباح . وإزالة المنكر متعينة سواء كان مكروهاً أو محرماً .
وأسأل الله أن ينفع به كل من أطلع عليه، وأن يجعله مما يبيض الوجه عند لقاه. فوالله ما أردت به إلا رضا المولى جل جلاله ونصرة المظلوم ،وتجفيف منابع الغلو .وقد بنيت ذلك على ساقين ألا وهما :

حسن النية ،وبذل الجهد في حسن العمل ،حيث بحثت طويلاً في كتب علماء الأمة سابقهم ولاحقهم حتى يتبين الحق لكل منصف .وأنا لست في غفلة عن الإنحراف العملي في صفوف بعض الناس ،كالطواف لله تعالى حول

قبور الأولياء ،وكالبناء على القبور ونحوها من البدع العملية غير أنها ليست بشرك ولا توجب التكفير بل أحكامها مبسوطة في كتب الفقهاء في المذاهب الأربعة.وهي لا تخرج عن الكراهة أو التحريم على قولين للفقهاء .وسأبين ذلك في رسالة مستقلة إن شاء الله تعالى ،وغاية المطلوب أن توضع المسائل في حجمها الصحيح من غير تساهل ولاغلو ،ومرد ذلك إلى الكتاب والسنة حسب فهم ورثة من أرسل بهما صلى الله عليه وسلم . فكتب الفقهاء في المذاهب الأربعة ـ رحمهم الله تعالى ـ كفيلة بذلك وتفاسير الأئمة وافية بالغرض .وبعد كل هذا فلم يبقى حجة للإصرار على تكفير علماء المسلمين وعامتهم في الدول الإسلامية لا بوصفهم ولا بأعيانهم ،إلا لمجرد العناد والإباء والاستكبار ،وتلك والله ليست بصفة المؤمنين المتقين .والله أعلى و أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه: غيث بن عبدالله الغالبي

الفهرس

الصفحة	الموضوع
1	مقدمة الكتاب
3	الأثر الفكري لدعوة الشيخ
4	نماذج تدل على هذا الأثر
7	انتشار هذا التكفير في كثير من بلاد الإسلام
7	موقف علماء السعودية من فتنة التكفير
8	أزمة التكفير في السودان
10	هل الشيخ يكفر المعين
11	أزمة التكفير في الجزائر
12	أسباب تكفيرهم لغيرهم وعدم قناعتهم بالحجج
13	تقصير المصنف في تعريف التوحيد
15	الغلو على أقسام
16	براهين أن أهل الشرك لم يوحدوا في الربوبية
19	هل معنى السيد عند المسلمين هو بمعنى الإله عند المشركين
20	ماهو الإطراء الشركي
22	فقه قوله تعالى ((هؤلاء شفعاؤنا عند الله))
25	أقسام الشفاعة
27	معنى قوله تعالى ((ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم))
28	وقفات مع كلام العثيمين في الاستغاثة
31	نقض جواب الشيخ على أعتراض علماء عصره
34	نقض شبهة تسويغ تكفير مخالفيه ومسألة الدعاء
37	الرد على الإلزامات الباطلة
38	الذبح على أنواع وليس نوعاً واحداً
41	ماهو الضابط الشرعي للأعمال الظاهرة
43	اصرار الشيخ على تكفير مخالفيه مع أنهم بينوا له صحة موقفهم
44	قياس المصنف الاستغاثة السببية على نبوة مسيلمة

45	قياس المسلمين على أتباع ابن سبأ
45	قياس فعل المسلمين على بنو عبيد القداح
48	تدريب ذهني
49- 51	باب الردة ،وغزوة تبوك
53	فقه قصة ذات أنواط
57	الرد على المصنف سبب مقاتلة النبي ﷺ لليهود
58	شبهة التعلق بكلام ابن تيمية الموجود في الإقناع
59	فقه النصوص التي يستدلون بها على تكفير مخالفهم
65	حياة أهل القبور
70	أدلة الاستغاثة بالأنبياء والأولياء
74	وقفة للتأمل
75	هل الاستغاثة من الشرك الأصغر؟
82	الخاتمة